

مظاهر التخلف العربي والاسلامي

الباحثة: سمية شام
مركز برق



الفهرس

{٣}	خطة البحث
{٥}	مقدمة
{٧}	الفصل الأول: الماضي يحملنا وزره
{٧}	المبحث الأول: لحظة الانفصال الأولى
{٩}	المبحث الثاني: عصر الانكسارات
{١٦}	الفصل الثاني: الحاضر ينتفض
{١٦}	المبحث الأول: الاتصال الأول
{١٨}	المبحث الثاني: الحركة الإصلاحية
{٢٦}	المبحث الثالث: الحركة الحديثة
{٣٣}	المبحث الرابع: الاستعمار والقابلية للاستعمار
{٣٧}	الفصل الثالث: بشائر المستقبل
{٣٧}	المبحث الأول: نقطة الانطلاق
{٣٩}	المبحث الثاني: الطرق الجديدة
{٤٣}	المبحث الثالث: تفعيل المؤسسات التعليمية والدعوية
{٤٧}	خاتمة عن الثورات العربية
{٥٥}	المراجع المستخدمة

موضوع البحث: مظاهر التخلف العربي الإسلامي وتبعاته

هدف البحث:

تحليل مسببات تشوش الفكر العربي وانهيار المنظومة الثقافية العربية غوصا في التاريخ القريب والبعيد للخروج بمقاربة نقدية للطرق الجديدة والبناء على أسس راسخة من الفهم والنضوج الاجتماعي.

خطة البحث:

- مقدمة عن تطور الفكر الإنساني ومعالم تطور الحضارة الإسلامية.
- الفصل الأول الماضي يحملنا وزره:
 - ١ لحظة الانفصال الأولى: معركة صفين الأسباب والنتائج.
 - ٢ عصر الانكسارات: أهم الأحداث السياسية والعلماء في عصر الموحدين.
- الفصل الثاني الحاضر ينتفض:
 - ١ الاتصال الأول: حملة نابليون في الشرق.
 - ٢ الحركة الإصلاحية: أئمة الإصلاح، نقائص المؤسسات التعليمية، نقائص الحركات الدعوية.
 - ٣ الحركة الحديثة: رواد الحركة الحديثة، الأداء السياسي وعيوبه.
 - ٤ الاستعمار والقابلية للاستعمار.
- الفصل الثالث بشائر المستقبل:
 - ١ نقطة الانطلاق: كيف تبدأ النهضة.
 - ٢ الطرق الجديدة: توصيا لدعم العملية التنموية.
 - ٣ تفعيل المؤسسات التعليمية والدعوية والثقافية.

• خاتمة عن الثورات العربية.

مفاهيم الدراسة:

١. دراسة مفهوم التخلف وصولاً إلى تعريفه وتحليل أسبابه ونتائجه.
٢. دراسة مفهوم التحضر وصولاً إلى تحديد الحضارة وشروطها النفسية والاجتماعية والتاريخية.
٣. دراسة مفهوم التدين والتعلم الفعالين في مواجهة العالق والمتجذّر من الموروث التاريخي الهدام وإشكالات الحداثة.
٤. دراسة مفهوم الاستبداد وكيفية نشوئه واستقوائه وتأصله.
٥. دراسة الثورة ومرحليتها وأهميتها وأخطائها وطرق تطويرها.

هذا البحث هو بحث تاريخي تحليلي اجتماعي يربط الوقائع بمقدماتها ونهاياتها وتبعاتها ويحاول الخروج بمفاهيم ومنطلقات جديدة أو مجربة وبصيغ تصالحية أو ثورية لحل الأزمة الراهنة.

وقد بني أساساً على كتاب المفكر الجزائري مالك بن نبي والمسمى "وجهة العالم الإسلامي" (المرجع ٢) مع تطوير أدوات البحث والخروج بصياغات أكثر معاصرة وقد التزم خط الكتاب وأضاف بعض المواضيع وعدل بعضها.

مجال البحث:

المجتمع العربي وتطوره منذ الهجرة النبوية وحتى يومنا هذا.

مقدمة: الظاهرة الدورية

كان المؤرخ العربي ابن خلدون أول من توصل في دراسته القيمة للتاريخ إلى تعريف للحضارة وتحديد لها، مقسماً إياها إلى أجيال ثلاثة، الباني، فالمباشر له، فالمقلد والذي يلحق الخور بأمتة خارجاً بها عن درب التقدم والازدهار، وأرجع المفكر العظيم بذرة الحضارة إلى العصبية القبلية، واعترف بخصوصية الدين كملهم ودافع للنهوض، مصراً على وجوب العصبية لتلتف حوله وتحميه وتغالب به.

أما الفكر الغربي الحديث فقد اتجه إلى وجهتين رئيسيتين:

الأولى: ويمثلها أنصار الفكر الماركسي الذي يرى أن حركة التاريخ حركة خطية، بدأت بالإنسان البهيمي الأكثر قرباً للحيوان، وتصادت عبر القرون؛ ليصل بها الفكر الشيوعي "المتقدم" إلى غايتها العليا في الرخاء والضمير والحرية، وكان أن عارضت الماركسية منطقتها الجدلي، فعادت بالإنسان إلى البدائية عندما طبقت وأبعدته كلياً عن الرخاء والحرية.

الثانية: ويمثلها الفكر الرأسمالي والذي تبني في بعض فلسفته نظرية نهاية التاريخ، والتي تزعم أن الحضارة الغربية بلغت شأواً عظيماً من التحضر، وسادت بوسائلها وقيمها وبإخبطوطها الثالوثي، المال والسلطة والعلم، مضافاً إليها قوة آتته الإعلامية الجبارة والمسخرة لخدمة أغراضه؛ مما يمنع أية منظومة فكرية معارضة لمنطقه من المنافسة وحتى أن تسايده. وهذه النظرة هي ما يقول عنها مالك بن نبي ثقافة الإمبراطورية والتي ابتليت بها أكثر الحضارات، ظناً منها أن التاريخ يبدأ وينتهي بها، دون أن ننكر وجود بعض المفكرين الذين خرجوا من دائرة التعصب الأعمى، ومنهم من بشر بنهاية الغرب مثل ارنولد توينبي.

شرح مالك بن نبي حركة دورة الحضارة وكأنها مصفوفة متتابعة، تتوالى في ظروف نفسية واجتماعية وزمنية معينة، تتوافر في بيئة مكانية مناسبة، فإذا ما انحسرت وتراجعت هذه الضوابط، تهاجر إلى مكان جديد أكثر ملائمة، وتستحيل تركيباً عبقرياً فذاً للإنسان والتراب والوقت. قال تعالى: ((وتلك الأيام نداولها بين الناس)) آل عمران-آية 140. أما شرطها النفسي فهو الخصائص الفردية التي تميز الإنسان المتحضر، فنراه يتصرف بموجبه، ولو عاش بين أناس لا يعرفون الحضارة فكراً وسلوكاً ونمطاً لحياته. أما الشروط الاجتماعية فهي الخصائص الأخلاقية والجمالية والصناعية والفنية للمجتمع الحضاري.

أما الشروط الزمانية التاريخية فهي النظرة الشمولية لحركة التاريخ، والدارس لها يدرك وجود غاية عظمى ذات شقين: الأول سنني واضح للعيان، فما من حضارة معزولة عن التأثيرات الخارجية حتى القاصية منها، والشق الثاني ميتافيزيقي يستعصي على الفهم، ويضرب لذلك مثلاً قبائل المغول التي أغارت على الصين في القرن الثالث، مما أجبر الهون على الابتعاد والزحف غرباً ليصلوا حدود روسيا، ويهاجموا القبائل الجرمانية، التي تحركت جنوباً واجتاحت القوط وصولاً إلى روما منهية الدولة الرومانية الغربية في القرن الخامس، "لاحظ المدى الزمكاني الشاسع والذي يستدعي التأمل".

هكذا قسم فيلسوف الحضارة، الحضارة الإسلامية إلى:

- 1- مرحلة القيام والصعود بحامل روحي إسلامي، قفز بها بطاقة قصوى واستهلت بالهجرة النبوية.
 - 2- مرحلة القمة، وكان فيها للتقدم العلمي الفكري الدور الأكبر.
 - 3- مرحلة السقوط والانحيار، عبر الانقسام واغتصاب السلطة والتحارب، حيث سيطرت الأهواء والشهوات، جاذبة المجتمعات العربية نحو هوة التخلف والدمار بعد انهيار دولة الموحدين، وليحمل بقايا الروح الإسلامية الشعوب التركمانية والمغولية وتخرج بالخلافة إلى اسطنبول بعيداً.
- وتعتبر معركة صفين لحظة الانفصال الأولى، والتي حملت في رحمها بذور الشقاق والفكر الذري الطفولي، الخارج

عن المنطق والتحليل وسلبية التفكير وفلسفة التصوف، والتي ساهمنا بتدعيم آثارها عبر هروبنا المستمر من وضعها تحت النور، بحجة تقديس الصحابة لنحمل إرثاً ثقافياً منهزماً وموبوءاً.

معركة صفين -38هجرى-

أسست هذه المعركة للتعارض الداخلي بين حمية الجاهلية وروح القرآن، مما حطم البناء المتوازن بين عنصر الروح وعنصر الزمن، وخلق شرخاً كبيراً في البناء الحضاري الإسلامي، بقي يتعاضم واصلاً بنا إلى هنا بنتائج كارثية، مما يحتم علينا تحليل هذا الحدث، وإلا بقي جرحاً نازفاً وسرطاناً يلتهم كل طاقة الأمة ولا يدع لها فرصة للبناء.

الأسباب الموضوعية للمعركة:

أولاً:

الفتوحات الإسلامية الكبيرة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه والتي نتج عنها:

- ١- الزيادة الكبيرة في عدد السكان والرقعة الجغرافية، في زمن قياسي حيث تضاعفت الدولة الإسلامية مئة مرة تقريباً خلال فترة قياسية.
- ٢- بسبب سماحة الإسلام والانفتاح الإنساني العربي، دخل الكثير من حديثي الإسلام في صلب الدولة.
- ٣- المغانم الكثيرة في العراق والشام، والتي أغرقت بدواً حديثي العهد بالحضارة، وطريقة الحياة المترفة للفرس والروم، التي أثرت في العرب، وكان عمر بن الخطاب حازماً اتجاه الولاة واتجاه أساليب الحياة الجديدة وتوزيع الغنائم.
- ٤- تعب الناس كثيراً من الحروب المتواصلة والفتن المتلاحقة.
- ٥- موت الكثير من الصحابة، مما قلل من النسبة الصحية الاجتماعية، بين الأعداد الغفيرة للدّاخلين في الإسلام، وأعداد الأنصار والمجاهدين الذين تربّوا على يد الرسول الأعظم.

٦- كانت القفزة عظيمة للدولة الإسلامية الناشئة من البداوة إلى الدولة المدنية البسيطة، إلى دولة شاسعة تلزمها مؤسسات جديدة وآليات جديدة.

حاول عمر بن الخطاب التخفيف من هذه الآثار، وأنشأ الدواوين، لكن أبو لؤلؤة اغتاله، ليوصي قبل أن يموت بالعشرة يختار منهم المسلمون الخليفة، ويتحول بقيتهم إلى مجلس شورى.

ثانياً:

كان الخيار بين عليّ رضي الله عنه القريب من حزم عمر، وعثمان رضي الله عنه السمع، فاختروا عثمان بأكثرية بسيطة، واستغلّ أقارب عثمان وأكثرهم من المؤلفة قلوبهم لينه وسماحته، واستمتعوا بثمرات الفتح الإسلامي فأوغلوا صدور الناس عليه.

ثالثاً:

حادثة قتل عثمان رضي الله عنه، وما نتج عنها من تداعيات، وسببها شباب مسلم غاضب تواق للعدالة (1)، وعند استلام عليّ رضي الله عنه أدرك أنه لا يستطيع محاكمتهم حتى تستقرّ أمور الدولة فقام عليه الصحابة.

رابعاً:

معركة الجمل، والتي أظهرت ضعف الصحابة واختلافهم حول النصّ والمقصد، حيث أخذ عليّ رضي الله عنه بالمقصد وأجل محاكمة قتلة عثمان إلى حين تقوية الدولة والخروج بها من أزمتها، خاصةً أنها جريمة جماعية، بينما أصرت السيدة عائشة على تطبيق الحكم الشرعيّ دون النظر إلى الملابس، وقام بعض ضعاف النفوس باستغلال الخلاف لإشعال المعركة.

خامساً:

عدم تحول العشرة إلى مجلس شورى ينظّم شؤون الدولة، والتي أصبحت أكثر فأكثر بحاجة ماسة إلى عمل جماعي ومؤسساتي بعيداً عن التصرفات الفردية والاجتهادات الشخصية.

سادساً:

رغم الاهتمام بالقضاء واستقلاله في العهد الراشدي، إلا أنه لم يدعّم ويعطى صلاحية الحكم بأمور الدولة والفصل

بين المتحاربين والإصلاح، ولم تترك له صلاحيات سياسيّة مستقلّة بسبب حداثة المدنية عند العرب، مع أن ذلك ورد في النصّ القرآني ((وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما... وأقسطوا إن الله يحب المقسطين)) الأنعام – آية 9.

سابعاً:

طلب معاوية التحكيم بدهاء حين علم أن عليّ سينتصر عليه، لكنّه استغلّه ليكسب الوقت واختار أحد دهاة العرب، دون وجود هيئة قضائية مستقلّة؛ مما حال دون إنهاء العمل بنجاح وتطويره ليصبح آليّة متبعة في الأمة.

نتائج معركة صفّين:

- 1- انتصار الانتهازية السياسية، على الشورى والديمقراطية الوليدة.
- 2- تحوّل الفكر الإسلامي - وكان ضعيفاً لم يقو عوده بعد، والناس يدخلون في الإسلام ويتعلّمون الفرائض وبسبب عدم فهمه لما حدث (انتصار الانتهازية) إلى الجبريّة والقدريّة والسلبيّة والذريّة، (أي رؤية الحوادث بشكل منفصل عن أسبابها ونتائجها).
- 3- عندما قوي عود الفكر الإسلامي وازدهرت الفلسفة، استنكف عن دراسة المعركة خوفاً من الطعن في الصحابة وزيادةً في التقديس.
- 4- أصبح الاستبداد هو طبيعة المجتمعات العربيّة، وتكرّس التوريث كأساس للشرعيّة السياسية، ثمّ تبعته الغلبة.
- 5- بدأت عملية توظيف النصّ الدينيّ للمصالح السياسيّة والفئويّة والمذهبيّة، وبدأت عملية كتابة الحديث الضعيف، مما حول الدين أكثر فأكثر عن مقاصده وشموليّته.
- 6- أسّس كل ذلك لعملية تاريخية طويلة، ربطت الفقه بالمصالح السياسيّة والطائفية، مما أبعد الدين عن حركته النهضوية والعقلية، وأوصلنا إلى إرث فقهي ملوّث ومشبع بالتخلّف (فقهاء السلطان).
- 7- أسّست هذه المعركة لظهور الخوارج، ولتأثيرهم على الساحة السياسيّة العربيّة، وتطورهم وتجنيدهم للراغبين بالحرية والعدالة، واستخدامهم لمنطق العنف وتشريعهم للقتل، ودعمهم الغير مباشر للاستبداد المطلق، وممارسات التعسّف بدعوى القضاء على الفتن.

8- حدث الانفصال التاريخي بين الدين والسياسة، وانحصرت اهتمامات المواطن العربي بالرزق والأسرة وبعبادته الفرديّة، وابتعد عن التدخّل بالقرارات السياسية وبطرق تداول السلطة، وإن بقيَ بعض بقايا الاحترام للقضاء، وبقيَ مستقلاً إلى أن انثهك أخيراً نتيجة الاستبداد الممتدّ عبر الزمن.

9- الانقسام الشاقولي والشرح الكبير بين طائفتي السنّة والشيعّة، والذي تعمّق بسبب عدم وجود فكر متوازن وعملية إصلاح تاريخي، وتصفية لموروث القتل والمظلومية.

نلاحظ في الفكر السنّي دكتاتورية الحاكم أو المتغلّب، بينما ظهرت في الفكر الشيعيّ دكتاتورية الإمام أو الفقيه. قدّس الفكر السنّي الصحابة بينما قدّس الفكر الشيعيّ آل البيت، سبّ الفكر الشيعيّ الشيخين رضي الله عنهما وعائشة. الفقه السنّي يلزم بالطاعة والصبر ويحرم الخروج على الحاكم، بينما الفقه الشيعيّ يبرهن على اغتصاب السلطة

ويعظّم المظلومية، استخدم الفكر السنّي السجن والنفي والتعذيب الممنهج فيما بعد، بينما تطوّر الفكر الشيعيّ إلى جلد الذات واللطمات. لا ننسى هنا ظهور الكثير من الفرق الشاذّة والجماعات المتطرفة كالمرجئة والمعتزلة والفرق الصوفيّة والفرق الاثني عشرية.

هكذا بدأ الحقد التاريخيّ يفصل بين المجتمعات السنّيّة والشيعيّة، مغذّي على الكراهية والأحاديث والتآمر مع الأعداء والاستنصار بهم؛ للقضاء على الخلافة الإسلاميّة والانتصارات المتبادلة، فالسنّة يتهمون الشيعة بالخيانة، والشيعة يتهمون السنّة بعدم الانتصار لعليّ واغتصاب الدولة. وأكثر ما غدّي هذا الموروث التاريخي الكريه، هو الجهل المتراكم وعدم الاعتراف بالأخطاء، وتطوير الخلافات المذهبيّة لتصبح في صلب العقيدة، والاعتماد على التكفير والتخوين عوضاً عن الحوار والمسامحة.

ما بعد الموحّدين

بعد معركة صفّين حصل نزاع بين أسباب الموت والحياة داخل الجسد الإسلاميّ، بقي العالم الإسلاميّ حيّاً بفضل الإيمان والفضائل الخلقية، فالإيمان هو الشعلة والشرارة التي تشكّل القيم وتحولها من أفكار معلّقة بالهواء إلى واقع نفسيّ وزمنيّ، وتحول الإنسان إلى وحدة اجتماعيّة، والوقت إلى ساعات عمل، والتراب إلى مجال مجهّز فنيّاً وصناعيّاً، كما في معادلة المفكر مالك بن نبيّ.

إنسان + وقت + تراب --- < حضارة

والعامل المحفّز للتفاعل هو طاقة الإيمان، فالحضارة تبدأ بالإنسان المؤمن المتكامل، وتنتهي بالإنسان المتحلّل كجزء محروم من الجاذبية دون أساس روحيّ، وليس له إلا أن يفرّ إلى صوامع المرابطين، أو إلى أماكن اللهو والضياع (الخمير أو المسبحة)، وهكذا يغيب عن واقعه الأليم ويبدّله بواقع من صنع خياله ويرقص خلاعةً أو غياباً وجدبةً. هكذا تحوّل الإيمان الحقيقيّ الذي ألهم العرب في بداية نهضتهم، إلى إيمان تقليديّ بئس، والفرق شاسع بينهما، يقول الشاعر محمد إقبال: (علّة يُصبحُ ما مسّ العليل).

الإيمان الفعّال: للدنيا والآخرة - للنفس والمجتمع - له رسالة تاريخية - نشيط ومبدع - يخرج العلماء والفقهاء.
الإيمان التقليديّ: للآخرة فقط - للنفس فقط - له رسالة شخصيّة - كسول واتكاليّ - يخرج الرهبان والدرائيش.
لكي نحلّل ببساطة ما حدث في العالم الإسلاميّ، نعود إلى لبّ الإسلام وهو التوحيد. للوحدانية ثلاثة جوانب لا بدّ من استيفائها ليكون الإيمان سليماً وغير ملوّث بشركٍ أو رياء.

الجانب الأول:

الخلق، وهنا تعني كلمة لا إله إلا الله، لا خالق إلا الله، وأكثر الناس يؤمنون بذلك، قال الله تعالى: ((ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولنّ الله)) سورة العنكبوت - آية 61.

الجانب الثاني:

توحيد الله بالدعاء والرغبة والرغبة والرغبة وطلب الرزق، أي أن لا إله إلا الله تعني لا أحد ينفع أو يضرّ أو يرزق أو يحرم



barg
New idea..New life

إِلَّا اللَّهَ، وعلى الإنسان تحصيل المعرفة اللازمة، واتباع القوانين الكونية بطلب الرزق، واستجلاب النفع واجتناب الضرر، قال الله تعالى: ((أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ)) الشعراء آية 73. وأكثر الناس يشركون بالله بهذا المعنى، عن طريق إيمانهم بالسحر والأوهام والخرافة والجهل، وهنا يتعطل العقل والفكر، وتزداد البطالة ويقل العمل وتتحمم الأوهام بالإنسان؛ فيخاف من الكون عوضاً عن دراسته وتسخيره، ويتواكل وينافق ويتذلل بدلاً من السعي وطلب الرزق، ويصبح متعطلاً اجتماعياً، وقد سمى الله الشرك من هذا الجانب (الجبث). قال الله تعالى: ((يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ)) النساء - آية 51.

وكان السحرة قديماً يسمون بالجبث، وكان الإنسان الجاهلي يلجأ إليهم ويقصدهم كلما أراد شيئاً أو عزم على عمل، وهذا ما تحول إليه إيمان المسلمين عبر قرون طويلة منذ معركة صفين إلى ما بعد الموحدين، ليتحول بعدها المسلم الفعّال إلى متعطّل جاهل قدرّي أوقف عقله وعمله.

الجانب الثالث:

وهو توحيد الله كقوة عظمى واعتبار الناس كلهم سواسية، والله وحده يحكم بينهم وهو فوقهم ولا سلطة لأحد على أحد، ولا يجوز أن يتحكم أحد بأحد أو يتكبر عليه، وقد سمى الله تعالى من يفعل ذلك بالطاغوت فهو يكره الناس ولم يخلقهم، والله خلق العباد وترك لهم النعمة الكبرى حرية الإرادة ولم يكرههم حتى على الإيمان به، قال الله تعالى ((لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى...)) البقرة آية 256.

وعندما تترك للإنسان حريته وتعطيه المعلومات اللازمة، وتبين له الحقائق وتثق به يصبح راشداً دون تدخل من أية قوة خارجية، ولذا سمى الخلفاء الراشدون كذلك (انتخبوا بإرادة حرّة)، وسمى الملك بعدهم عضداً (ليس له أساس شرعي أو شعبي)، لتتعطل بعد صفين الحياة السياسية ويتغذى الاستبداد ويفقد المسلمون صفاء توحيدهم من تلك اللحظة، ويتحولون تدريجياً من التوحيد الصّافي الذي بنى الأمة، وسمى بالعقل واعترف بالحرية ووثق بالإنسان ونهض بالعرب من البداوة إلى المدنية، وفعل المجتمع إلى الطاغوت ليتعطل الرشد فيهم، ثم إلى الجبث بعد انهيار دولة الموحدين، ليتعطل الفكر والجهد العلمي ويتحول الإيمان عن دوره الفعّال، إلى عامل سلبي تقليدي

(الآبائية)، ونكون هنا برأس في عام 2000م وقدمين ما تزالنا لم تقلعنا في عام 1369م، ليخر الصولجان بعد أن انعدم في العالم الإسلامي الفرد القادر على حفظ السلطان.

الوراثة الاجتماعية خطيرة ومهمة كما الوراثة الجسدية، تحمل الناس أوزارهم وأوزار آباءهم، لاحظ طريقة لعب الأطفال والتي لا تختلف من مكان عربي إلى آخر، فالكل يحمل المسطرة للأستاذ والصوت المرتفع للرجل، والطبخ للمرأة، والبنوقية للعسكري والشرطي يضرب الناس. لقد أصبح جسد إنسان ما بعد الموحدين أكثر عفونة وبلاء؛ بسبب ترك ملايين الجرائم لتهاجمه وتستشري فيه: الخوف - الكسل - العنف - الانتكالية - الخرافة - الأمية - القدرية - الرشوة - الفقر - الإدمان - البطالة - الذرية - الحرفية - الطفولية في التفكير - البذخ - الفخر والتباهي بالآباء - العجز - الشلل الفكري - النزعة الأدبية.

أهم الأحداث السياسية المؤثرة التي حدثت آنذاك

١- **الحروب الصليبية:** كانت في جانب منها خيراً على المسلمين، إذ أظهرت نقاط ضعفهم وتخلخلهم، ونبهتهم إلى إصلاح أنفسهم، فتوحدوا تحت راية صلاح الدين واستعادوا القدس وتحركوا بفعالية جديدة. أظهرت الحروب الصليبية قدر أوروبا وروحها الاستعمارية الهدامة، تغذيتها العلوم التقنية والتكنولوجيا التي تمدها بقوة هائلة؛ لنهب واغتصاب الثروات تحت راية الروح المسيحية، والمدارس والجامعات التبشيرية والمستشفيات الخيرية.

٢- **حروب المغول والتتار:** والتي أدت إلى سقوط آخر عاصمة عربية للخلافة الإسلامية، والدمار الهائل للكتب والعمارة، القتل الهمجي، الذي جعل منا ألعوبة بمكان النهوض، وسمح لأوروبا بالنهوض بعد أن أوقف زحف العثمانيين نحوها، وإلا بقيت في الظلام عقوداً أخرى.

٣- **سقوط غرناطة:** كان دليلاً على وحدة الروح المسيحية الغربية، وعلى انهيار المسلمين سياسياً ودينياً، وتفرقتهم وتنازعهم وتمسكهم بالسلطة والمال على حساب الأمة.

٤-فتح القسطنطينية: والذي أسس للخلافة العثمانية الممتدة شرقاً وغرباً، والمتطاوله عبر خمسمائة عام من السبات الشرقي، حتى سميت بالرجل المريض، وقامت الحرب العالمية الأولى بتوزيع تركة على المنتصرين، وتقسيم الوطن العربي حسب اتفاقية سايكس بيكو (دول مصنعة غربياً على غرار ما نستورده يومياً).

قبل أن يغرق العالم الإسلامي في لُجج الأحلام والأمانى وينسى الواقع، ظهرت ثلة من العلماء حاولوا استنهاضه من جديد لكن غلبت عليه لذة الرقاد فراح في نوم عميق، ومنهم:

ابن تيمية / المجدد / (1320-1390): اسمه أحمد بن عبد الحليم، وسمي تيمناً بجده تيمية. وُلد في حرّان بالشام، سجن في مصر لجرأة آرائه، ثم عاد إلى دمشق ثم سجن في الإسكندرية، ثم في قلعة دمشق، أُفرج عنه بأمر من السلطان قلاوون واستمر في التدريس ليموت في دمشق. كان مجدداً دينياً تحدث لأول مرة كإمام عن التوفيق بين المعقول والمنقول، وأهاب بالمسلمين العودة إلى أصول الدين وبساطته، والبعد عن الخرافة والبدع كزيارة القبور والتوسل. حضّ على قتال التتار والمغول والجهاد، لكنه أوغل في فتواه ضد الشيعة بسبب ما كان من وقوفهم مع أعداء الأمة، وكان هو من أثار في الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وظهور الحركة الوهابية فالحركة السلفية الحديثة.

ابن خلدون / المؤرخ / (1332-1406): واسمه عبد الرحمن بن خلدون. وُلد في تونس ومات في مصر. أسس علم الاجتماع الحديث بفصله التاريخ إلى قسمين: موثق وأساطير وحكايات، وأعاد تبصّر ذلك إلى نحل وأسباب. عمل قاضياً في مصر وكتب مقدّمته الشهيرة في الجرائر، معتبراً العصبية القبليّة والغلبة أساس قيام الحضارة، والفكرة الدينية بذرتها التي لا تعيش دون غلبة تحميها ثم تطورها، واعتبر أنّ لكل ظاهرة اجتماعية أسباب، وحلّ الحضارة إلى مراحل متتابعة: العصبية القبليّة، ثم الغلبة، ثم الملك، ثم العمران الحضاري، ثم الترف، ثم الفساد، ثم نقص الأموال، ثم انهيار الصناعة والزراعة، ثم انهيار الدولة.

وأجياله الثلاثة أو الأربعة مشهورة: الباني، فالمباشر له فالمقلد، فالمستمتع الهادم. وقد قال عنه توينبي أنه أعظم عقل بشريّ لأنه ابتكر فلسفة التاريخ.

ابن رشد / المُعلّق أو الشارح / (1126-1198): وُلد في قرطبة وهو فيلسوف وطبيب، صحّح لابن سينا والفارابي. اتهم في آخر حياته بالإلحاد وأبعد إلى مراكش، وقد اعتُبر فكره انتقالاً بين الأساليب القديمة والحديثة، وفاصلاً بين العصور الوسطى والحديثة. كان أثره واضحاً في الفلسفتين الغربية واليهودية، بينما ماتت كتبه في العربية. فكره يقوم على أنه لا تعارض بين الدين والفلسفة. تحدّث عن سرمدية الكون وعن الروح مقسماً إياها إلى قسم شخصي وقسم إلهي، كما تحدّث عن خلود العقل البشريّ الجمعيّ (أي أن تطور العقول البشرية مجتمعة وعبر التاريخ هو الحقّ الخالد). شرح أرسطو وأفلاطون وتحدّث عن دور المرأة في الحضارة، معتبراً انعزالها وبعدها عن الحياة الاجتماعية سبباً لانكفاء الحضارة (بدأت المرأة في عصره بالانزواء واستخدام النقاب بسبب الفساد وتمييز نفسها عن الجوّاري).

كان لكلّ هؤلاء المجدّدين دورهم الرئيسي في الحركة الإصلاحية التي ظهرت حديثاً.

الفصل الثاني: الحاضر ينتفض

الاتصال الأول

خرج آخر الصليبيين عام 1291م من الشرق، ومن شدة هول الكوارث والحروب التي مزقت البنى التحتية للأمم العربية الإسلامية (تهدم نظام الري في العراق والذي أنشأ منذ آلاف السنين وكان سبباً لبزوغ الحضارة الإنسانية)؛ استسلمت لرقاد دام خمسمائة عام، ليعود نابليون إلى شواطئ مصر في حملته الشهيرة 1800م ويهزها هزاً عنيفاً، وفي عقله حلم كبير صعب المنال وهو الوصول إلى القسطنطينية بعد أن احتل روما قبلاً، وضم أنحاء الامبراطورية الرومانية الشاسعة تحت سيطرة فرنسا.

استيقظ العالم الإسلامي مذعوراً ليكتشف التباين الصارخ بين أحلامه التي غرق بها، وكوابيس العصر التي لم يفهمها. يظن الفيلسوف مالك بن نبي أن الحضارتين الغربية والشرقية متباينتان إلى حد التعارض، بسبب الاختلاف الجذري بين الإنسان الأوروبي والإنسان العربي وتطورهما التاريخي، مما جعل كلاً منهما يقدم عبقرية شديدة الاختلاف عن الآخر، فأوروبا حضارتها منذ القدم ذات بنية زراعية فيها تكييف للمادة والتراب وتنظيم علاقات جوار وثيقة، وتنظيم واضح للملكية والإقطاع، ولديها مفهوم قديم جداً عن العمل اليومي وثمراته الواضحة في الاستقرار القروي عبر العصور. بينما قدمت الجزيرة العربية حضارة ذات أصول بدوية تفخر بالفروسية والسرعة في الكرّ والفرّ، وتنظيمها القبلي العشائري البسيط، بدلاً من العمل اليومي يقضي العربي يومه يقرظ الشعر، ويحتقر العمل الزراعي، ويعيش حياته متنقلاً ومرتحلاً مع حصانه.

لذا كانت الفضائل الأوروبية فضائل جاذبية تبنى على المنفعة والتعاون، وتبني على المادة الملموسة مدركة قيمة الأرض، وعندما جاءت المسيحية أعطتها بعداً أخلاقياً (الغاية) بينما خلق التنظيم العلمي في فلسفة ديكارت، واكتشاف قوة البخار في الحضارة الغربية الصناعية، قدر أوروبا: التكنولوجيا

+ الاستعمار، فهي تنظر إلى الشرق على أنه مستهلك ومصدر للمواد الأولية وجاهل بالقيم المسيحية، وتتعصب ضد الإسلام.

أما الفضائل العربية فهي فضائل طردية تقوم على الكرم والضيافة والتضحية، ومن ثم اتجه الإنسان العربي نحو عبقرية السماء، وعندما جاء الإسلام نظم له الروح الجماعية، وحد من فرديته الضيقة، محضراً الأعراب للمدينة القادمة، وكان قدر الشرق في حضارتهم المنفتحة على العالم، والتي نقلت للغرب أرسطو وأفلاطون و أهدته روح المدنية، ومبادئ البحث العلمي لينطلق بها، بينما عاد العرب إلى روح القبلية والعشائرية، وأصبحوا مستهلكاً ينظر إلى الغرب بوصفه مصدراً للرفاهية، محتقراً مبادئه وأخلاقه ظناً منه أن الإسلام هو الدين الكامل.

بعد الصدمة التي عاشها العالم الإسلامي كان أمام حلين لا ثالث لهما:

الأول: يتمثل في نسف الماضي الإسلامي واعتبار الدين مصدراً للتخلف، وللتخلص من التخلف لا بد من الخروج من الدين، واللاحق بركب الغرب عبر تعلم أساليب حياته وإعادة إنتاجها، ودراسة العلوم الحديثة للخروج إلى النور، وهذا ما تبنته حركة الحداثة.

أما الثاني: فقد عاد أنصاره إلى التراث يستقون منه إيماناً متجدداً، يقوّي عزائمهم ويجدد فكرهم وينقلهم من الكسل إلى العمل، وأصحاب هذه الفكرة يعتبرون أن الإسلام لم يكن مرتبطاً بهذا الكم الهائل من التواكل والجهل، وإنما ربط الفقه بالأفكار الميّنة والمميّنة هو ظروف موضوعية، وأنّ علينا تنقية التراث وتحليله لنخرج منه بإيمان جديد، وهذا ما تبنته حركة الإصلاح.

حركة الإصلاح

أولاً محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية:

قامت فكرته على العودة إلى أصول الدين بعيداً عن الصوفية المنتشرة آنذاك، وعن الخرافة والتوسل بالقبور، تبناه آل سعود ومن ثم الحكومة السعودية الوليدة. تحولت هذه الحركة مع الزمن إلى التيار السلفي الوهابي والذي أفرز ومع الوقت وتداعيات الاستعمار المباشر وغير المباشر، جماعات متطرفة مثل القاعدة والتكفيريين. وبسبب التمسك الشديد بالنصوص وعدم التسامح في التفسير، وعدم السماح بأية مرونة أو اجتهاد، كان مقتل هذه الحركات، والفتاوى التي تستبج قتل الكفار وتعد المسيحيين كفاراً، وتستبج القتل الجماعي وتحول الإنسان إلى قنبلة تقتل دون تمييز.

اعتمدت الحركة الوهابية في خطابها على فتاوى ابن تيمية، وهي فتاوى ألفت وصُنفت في عالم آخر كان مثقلاً بآثار العدوان الصليبي والمغولي. لم تلتفت إلى روح التسامح وإلى الخطاب القرآني، الذي يفرق بين المشركين وأهل الكتاب، ويحرم الدم ويسمح بالاختلاف. كان الخطأ الأكبر الذي ارتكبه الحركات المتشعبة عن السلفية هو الدخول بالحرب دون مناقشة الشروط الموضوعية والمرحلية، التي تقتضي كف اليد في نصوص القرآن.

ثانياً جمال الدين الأفغاني:

والذي كان رجلاً عبقرياً ذو ثقافة فريدة وإخلاص فعال، أثرت فيه ثورة السيبي في الهند عام 1868م، عندما ثار الجنود المسلمون الهنود رافضين الخدمة في الجيش البريطاني، لكيلا يقتلوا إخوانهم،

وفي ذلك الوقت تأسست جامعة عليكرة؛ لنقل الحضارة الغربية وتعليم العلوم العصرية. غادر إلى مصر وأصبح هدفه إعادة التنظيم السياسي للعالم الإسلامي على أساس الأخوة الإسلامية التي سلبت لبه، مما دعاه إلى المطالبة بتجديد الخلافة العثمانية. وقد دعا إلى مكافحة المذهب المادي في تعاليم أحمد خان، فاستفادت منه حركة عليكرة وعدلت من اتجاهها.

إلا أنه لم يكن مفكراً، ولم يبحث المشكلات التي يعاني منها العالم الإسلامي، بل قصد بثقافته قيام ثورة، ومع أنه فشل في فكرته وهي تجديد الخلافة، إلا أنه أيقظ الضمير المسلم، وكان رائداً للحركة الإصلاحية بحق لما حمله ونقله من قلق. مشكلة الأفغاني أنه لم يدرس المرض الحقيقي واهتم بإعادة التنظيم السياسي، ظناً منه أنه بتغيير القانون ينصلح الإنسان، كما أنه دعا إلى الأخوة بدل المؤاخاة، والأول عمل سياسي، والثاني فردي (كما آخى الرسول بين الأنصار والمهاجرين).

ثالثاً الشيخ محمد عبدو:

وهو مصري وأزهري ذو حياة زراعية واجتماعية، ويعد أستاذ الإصلاحيين. تأثر بالأفغاني ولكنه نظر إلى الإصلاح نظرة اجتماعية، وابتعد عن السياسة واهتم بالفرد، وكان شعاره المشهور قال الله تعالى: {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم} الرعد - آية 11.

ألف رسالة التوحيد وهي أول جهد عقلي حقيقي في العالم العربي بعد غياب طويل. لكن الخطأ الذي وقع فيه اهتمامه بعلم الكلام والعقيدة، فعقيدة المسلم سليمة لكنها غير فعالة، كان يجهد في البرهنة على وجود الله، والمسلمون يؤمنون به خالقاً ويشركون به في أعمالهم ودعائهم للأولياء، وإيمانهم بالخرافة وطاعتهم العمياء لساداتهم وأئمتهم (الجبت والطاغوت)، من أخطائه رحمه الله عقدة التسامي فكان ينحي ويقاوم الأفكار الغربية ويمدح كل ما يتصل بالإسلام. صحيح أن محمد عبده لم يحدد



barg
New idea..New life

المشكلة في الضمير المسلم، لكنه بسطها في المجال الأدبي والعقلي، وحرك الأزهر بضميره وإن بقي جامداً في مناهجه وطرق تدريسه.

تأثرت به حركة ابن باديس في الجزائر، التي حاولت تخليص الجزائر من الطريقة المرابطية. وكتب تلميذه الشيخ رشيد رضا تفسيره الشهير (المنار) وهو أول تفسير حديث للقرآن.

رابعاً حركة الإخوان المسلمين:

أسسها الشيخ حسن البنا رحمه الله، والذي وضع أساساً أخلاقياً جديداً، وطور إصلاحاً اجتماعياً متميزاً عندما نزل إلى الشارع واقترب من البنى التحتية. أراح علم الكلام جانباً، وكان دمث الأخلاق لطيف المعشر، ينزل إلى الحانات ويتحدث مع الناس، وكان منظر هذه الحركة الشيخ سيد قطب، الذي كتب تفسير "في ظلال القرآن" وأعدم على يد الحكومة المصرية.

إلا أن سرية التنظيم قللت من تقبله ومن فوائده، فالسرية تسمح لأعدائك باتهامك بتدبير الاغتيالات والانقلابات، خاصة مع تجميع السلاح والذي كان يجمع لتحرير فلسطين، وبعلم عبد الناصر نفسه والذي انقلب عليهم وحاربهم ليستأثر بالسلطة وحده. ابتعدت حديثاً عن العنف إلا أنها مارالت تتهم بالتنظيمات السرية، وتعتقد بالعمق أن التغيير السياسي هو أول خطوة في التغيير، وتسعى إلى الفوز بالانتخابات والمشكلة أن العالم الإسلامي استورد العملية الانتخابية كشكل دون مضمون، لأننا لم نكمل كفاحنا من أجل الديمقراطية ولم ندفع ثمن تحررنا بعد. خلقت فكرة الحاكمية والتي طرحها سيد قطب رحمه الله، نقاشاً عريضاً بسبب عدم فصلها عن الاستبداد بشكل واضح، مما جعل المثقفين يحاربونها كشكل من الوصاية الدينية على الناس ويعتبرونها عدواً للديمقراطية.

خامساً الفكر التحليلي الإصلاحي:

ومن أهم رواده الكواكبي الذي ولدَ عام 1854م في حلب، وعملَ في الصحافة والمحاماة فتعرض للسجن مراراً، أصدر جريدة الشهباء 1877م فتم إغلاقها، ثم أصدر جريدة الاعتدال التي تم إغلاقها أيضاً من قبل السلطات العثمانية. هاجرَ من حلب بحثاً عن الحرية، وطافَ في الجزيرة العربية وإفريقيا والهند والشرق الأقصى، واستقرَ في مصر وتوفيَ في القاهرة مسموماً (كما جمال الدين الأفغاني) عام 1902م.

ظهرَ كتابه عام 1901م (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) ونقتبس منه:

"أشدُّ مراتبِ الاستبداد هي حكومة الفردِ المطلقِ الوارثِ للعرش، والقائدِ للجيش والحائزِ على السلطة الدينية، ويخف الاستبداد كلما قلَّ عددُ نفوسِ الرعية، وقل الارتباط بالأُملاك الثابتة، وقل التفاوتُ في الثروة وكلما ترقى الشعبُ في المعارفِ".

"إن مخترعَ الجندية إذا كان الشيطان، فقد انتقم من آدم ... فهي تفسدُ الأخلاق وتعلمُ الأمة الشراسة، والطاعة

العمياء والانتكال، وتميُّت النشاط وفكرة الاستقلال، وتكلفُ الأمة الإنفاق، وكل ذلك منصرفٌ لتأييدِ الاستبداد، استبداد الحكومات القائدة لشعوبها، واستبداد الأمم بعضها على بعض".

"كل المدققين السياسيين يرون أن السياسة والدين يمشيان متكاتفين، ويعتبرون إصلاح الدين أسهل وأقوى وأقربَ طريقٍ للإصلاح السياسي".

"ترتعدُ فرائصُ المستبدِ من علوم الحياة مثل الحكمة والفلسفة وحقوق الأمم، وطبائع الاجتماع والسياسة المدنية، والتاريخ المفصل من العلوم التي تكبرُ النفوس وتوسعُ العقول، وهؤلاء هم المصلحون قال تعالى: {وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون} سورة هود - آية ١١٧.

"فإذا ارتفع الجهلُ تنورَ العقلُ وزالَ الخوفُ والعاقلُ لا يخدمُ غيرَ نفسه".



barg
New idea..New life

"وقد سلك الأنبياء عليهم السلام في إنقاذ الأمم من فساد الأخلاق مسلك الابتداء، أولاً بفك العقول من تعظيم غير الله والإذعان لسواه، ثم جهدوا في تنوير العقول بمبادئ الحكمة وتعريف الإنسان كيف يملك إرادته".

"إني أختتم كتابي بخاتمة بشرى، ذلك أن بواسطه العلم وما بلغ إليه تدل على أن يوم الله قريب، ذلك اليوم الذي يقل فيه التفاوت في العلم وما يقيد من القوة، وعندئذ تتكافؤ القوات بين البشر، فتتصل السلطة ويرتفع التغالب"

ولا ننسى فيلسوف الحضارة مالك بن نبي الذي ولد عام 1905م في قسنطينة في الجزائر، ودرس في باريس وتخرج مهندساً كهربائياً عام 1935م، اتجه نحو تحليل الأحداث ودراسة مشاكل العالم المتخلف، وكتب الكثير من الكتب تحت عنوان "مشكلات الحضارة" ومنها: شروط النهضة - الفكرة الإفريقية الآسيوية. انتقل إلى الجزائر وعيّن مديراً عاماً للتعليم العالي وتوفي سنة 1973م. وقد تضمن هذا البحث بعض أفكاره وتحليلاته التي أفضت إلى نهضة فكرية بعد وفاته، وظهور عدد من المفكرين مثل: الأستاذ جودت سعيد والمؤرخ الصادق النيهوم.

نقائص المؤسسات الدينية والثقافية

يقول بيجوفيتش: "إن كلاً من الدين والثورة يولدان في مخاض من الألم والمعاناة، ويحتضران في الرفاهية والرخاء والترفع. حياة الدين والثورة تدوم بدوام النضال والجهاد، حتى إذا تحققا يبدأ الموت يتسرب إليهما، ففي مرحلة التحقق في الواقع العملي ينتجان مؤسسات، وهذه المؤسسات نفسها هي التي تقضي عليهما في نهاية الأمر، فالمؤسسات الدينية والتعليمية والثقافية الرسمية لاهي ثورية

ولاهي دينية " . (الإسلام بين الشرق والغرب. الفصل الثاني: الثقافة والحضارة صفحة 115 — بيروت 1994م.)

وضع النظام الداخلي للمؤسسات بقصد خدمة الإنسان وتعليمه، لكن مع مرور الوقت يصبح النظام عائقاً وجامداً وإذا لم يتجدد تتعطل عملية التعليم وتعمل المؤسسة كآلة صماء لإنتاج قوالب جاهزة خالية من الإنسانية والمغزى التعليمي.

لنلحظ النقائص الواضحة في عملية التعليم الديني والمدرسي العربي:

الاستبداد الفكري فطرق التعليم معتمدة على التلقين والمراجعة، وعلى تقديس الأئمة والفقهاء وإغلاق أبواب الاجتهاد والاعتراض، ومنع التساؤل وتجريم الشك، وحتى في المدارس العادية تقوم العملية التعليمية على نحت العقل وتقديس المعلم، وعدم فسح المجال للنقاش وحذف النقد مع أهميته من أدوات البحث، وقلة البحوث الميدانية، واعتماد أكثرها على النقل والتقليد من كتب الأقدمين أو المناهج التي ينسخها الأستاذ من مصادره الغربية المترجمة، دون أي جهد عقلي أو معارضة نقدية. منذ دخول الأطفال إلى العملية التعليمية لا ترحب الروضة بأفكارهم، ولا تسمح لهم بعملية الاستنتاج، والواجب تشجيعهم ولو خرجوا بأفكار نراها نحن سخيطة.

١. الجدل الدائم على المسائل الفرعية وترك فقه الأولويات، والبحث عن البراهين عوضاً عن الحقيقة والتفكير بالكلام بدل الإنصات، وهكذا خرج التعليم عن مقصده ومعناه.

٢. تقديس التراث والشعور بالذعر لأية محاولة نقدية لمراجعته وتصفيته.

٣. التحليق بعوالم خيالية لا تمت للواقع العربي بصلة، وتحريم التحدث عن السياسة.

٤. الحرفية وهي الهيام الأحق بالكلمات، فالكلمات وسيلة للتعبير عن الأفكار والحقائق، وهنا تنقلب

الأحوال وتصبح الحقيقة في خدمة الكلمات، مما يسبب بعض النتائج : فقدان القدرة على التقدير

الصحيح والمتوازن، تأليه اللغة والتوقف عن تطويرها، مناهج بالية تتحدى الزمن، وطرق التدريس تتغير شكلياً مع بقاء المضامين الرثة، ليصبح العقل العربي جامداً بسبب استبدال الصيغ والألفاظ، وتنحي عملية التحليل والبحث، والغاية الكبرى أن يكون الإنسان بحر علم دون الاهتمام بالأعمال، يصبح اتجاه الثقافة عكسياً إلى الوراء -الافتتان بالكم والنزوع إلى الأدب بدل الاهتمام بالمعاني.

٥. معالجة الأمية المنتشرة في الوطن العربي دون وجود نظرية معرفية وخطة منهجية، مما أوصلنا إلى الأمية المركبة والتي يظن صاحبها نفسه متعلماً.

نقائص الحركات الإصلاحية الدعوية:

١. التطرف بتكفير الناس وعدم التمييز بين المشركين وأهل الكتاب، فالقرآن يميز بينهما ويعتبر أهل الكتاب مؤمنون وحسابهم على الله، ويأمر المسلمين بالتعامل بالعدل مع جميع الناس ولو كانوا كفاراً.

٢. وصل الأمر ببعضهم إلى تكفير بعضهم بعضاً عند الاختلاف مع أن الاختلاف يغني الأمة.

٣. قدّس الخطاب الديني الإصلاحي الجهاد دون الالتفات إلى شروط القتال، ومتى يكون واجباً ومتى يصبح كف اليد واجباً، عند عدم توافر حكومة شرعية تقوم بتنظيمه، وعندئذ يصبح الكفاح المدني هو الأهم. قال الله تعالى

{ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس...} (سورة النساء - آية 77. ففي مكة لم يسمح للرسول حتى أن يدافع عن نفسه. وفي المدينة بعد تشكيل الحكومة

المنتخبة نزلت الآية {أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير} سورة الحج 1- آية 39.

٤. لا يجوز قتال الكفار لردهم عن كفرهم، والقتال في الإسلام شرع لمنع الظلم وليس لمنع الكفر قال الله تعالى: {لا

إكراه في الدين}. سورة البقرة - آية ٢٥٦. فلا تجوز محاربة الكافر إن كان يلتزم بالعهود ولا يمنع الناس من

الدعوة إلى الإسلام والدخول فيه، وإلا تحول المسلمون إلى طواغيت يعبدهم الناس، وكان أن أهمل الخطاب

الإصلاحي كل ذلك مما سهل على الغرب اتهامه بالإرهاب، واستغلت الحكومات العربية الاستبدادية ذلك، وصنعت

منظمات خاصة بنشر الرعب باسم الإسلام؛ لإيقاف حركة التغيير وإقناع الغرب بضرورة التعامل معها، ولتبرر الوحشية التي تتعامل فيها مع المعارضة والشعب.

٥. اهتمت الحركات الإصلاحية بالانتخابات المزيفة وأعطتها أولوية، ونست أن تغيير النظام السياسي هو نتيجة موضوعية للتغيير الاجتماعي والاقتصادي، وأن إعطاء الأولوية الآن يجب أن يكون لإصلاح العملية التعليمية ولتأسيس البنى التحتية الصحيحة والواعية، ولدعم المشاريع الزراعية والصناعية البسيطة.

حتى عند فوز الأحزاب الدينية بانتخابات نزيهة، فإن عليها الاهتمام بمحاربة الفساد والرشوة والمحسوبية، ومحاصرة الظلم والبغي والاهتمام برفع مستوى المعيشة، عن طريق دعم الطبقة الوسطى لا رؤوس الأموال التي تدمر البيئة والموارد وتعفى من الضرائب، كما يجب عليها التشارك السياسي مع بقية الأحزاب خاصة بالفترات الانتقالية وفتح أبواب التعليم والتعبير المهدب عن الآراء والمواقف.

٦. لم تنتبه الحركات الدعوية إلى خطورة التنظيم السري، وإلى ضرورة الشفافية وفتح ملفاتها ومواردها للعلن، حتى تمنع المغرضين من اتهامها بتهم باطلة.

٧. كان اهتمام الحركات الإصلاحية بالبحث والكتابة ونقد التراث الفقهي، وتصفيته والخروج بنظرية سياسية إسلامية حديثة محدوداً وغير كاف.

الحركة الحديثة

تنسب الدولة العثمانية إلى عثمان بن أرطغرل وقد امتدت هذه الإمبراطورية على مدى ستمائة عام وضمت بلاد الشام والجزيرة العربية ومصر وأجزاء من شمال أفريقيا وأوروبا. قامت الحرب العالمية الأولى في عام 1914م، وانهزم فيها العثمانيون مع ألمانيا، وقد لعبت الثورة العربية الكبرى دوراً رئيسياً في هزيمتهم، ودخل الشريف حسين دمشق منتصراً ليؤسس حكومة عربية لأول مرة، والتي لم تدم طويلاً بسبب دخول غورو البلاد وإعلان الانتداب الفرنسي الذي أقره مؤتمر سان ريمو 1920م.

كتب لورنس العرب: "لما غادرت الشام بعد دخولها بثلاثة أيام كان للسوريين حكومة فعلية في حيز العمل ودامت سنتين من غير استشارة الأجانب وأسست مجلساً للشورى ونظمت القضاء وأصدرت جريدة رسمية هي "العاصمة" وأنشأت المجمع العلمي العربي وجعلت اللغة العربية لغة الإدارة والمدارس".

كانت السلطة في اسطنبول قد آلت إلى جمعية الاتحاد والترقي منذ عام 1908م، والتي بدأت عملية التتريك لتقوية القومية التركية، في الوقت الذي بدأ فيه العالم يتجه نحو النزعات القومية، وقد أثار كل ذلك بالعرب فأسسوا الجمعية العربية الفتاة، في مؤتمر باريس 1913م كما بدأت عملية التعريب كرد فعل على الأتراك.

رائد الحركة الحديثة: مصطفى كمال أتاتورك

ولد سنة 1880م في سالونيك، وتخرج من الكلية العسكرية وعين ضابطاً في الجيش الثالث، ثم قائداً للفرقة أثناء الحرب العالمية الأولى، وشارك في حروب البلقان كعقيد ثم كعميد، وهزم الجيش البريطاني ثم انسحب وخرج من حلب متجهاً إلى الأردن، سامحاً للجيش البريطاني بدخول القدس. شارك في أحداث عام 1909م حيث قامت جمعية الاتحاد والترقي بعزل السلطان عبد الحميد، بتهمة إحداث الاضطرابات وحرق المصحف وسفك الدماء، والتهمة الحقيقية كانت رفض السلطان بيع فلسطين لليهود، وتم تنصيب الخليفة محمد رشاد الأكثر ضعفاً وانقياداً.

في عام 1920م أسس المجلس الوطني العظيم، وكانت حكومة موازية لحكومة السلطان بحجة خسارة الخلافة للحرب. في عام 1923م فرض الحلفاء معاهدة لوزان على تركيا مقابل الاعتراف بجمهورية تركيا، وخروج الجيوش من اسطنبول وتم إنهاء الخلافة العثمانية وتبديل الدستور إلى دستور مدني.

في عام 1924م دعا إلى اجتماع ونفى الخليفة، وحول تركيا إلى جمهورية يحكمها حزب الشعب الجمهوري، وأغلق المدارس الدينية واعترف بإسرائيل، وغير العادات والعطل وألغى المحاكم الشرعية، وعمل بالدستور السويسري المدني، والقانون الجنائي الإيطالي، والتجاري الألماني، وحدد عدد المساجد، وحول مسجد آيا صوفيا إلى متحف، ومنع الآذان باللغة العربية، وألغى الطربوش والحجاب وفرض الحروف اللاتينية. توفي عام 1938م بعد مرضه وإدمانه واكتئابيه، وبعد أن أعلن عام 1937م تركيا دولة علمانية قومية، ملغياً المادة الأخيرة في الدستور التي تتحدث عن دين الدولة.

جمال عبد الناصر:

بعد الحملة الفرنسية على مصر حكمها محمد علي باشا، بمباركة الخليفة العثماني الذي أَرْضاه بالقضاء على الوهابيين في الحجاز، والذي قضى على المماليك نهائياً. أسس جيشاً قوياً فارضاً الجندية الإلزامية، وبنى الأسطول وافتتح مطبعة بولاق 1821م، ومسح الأراضي وبنى الترعة والجسور، ثم هاجم الشام آملاً الوصول إلى عاصمة الخلافة، كما أمل نابليون من قبل، ووصل إلى قونيه، لكن الأسطول البريطاني الطامع في بقايا الرجل المريض أوقفه فانهزم إلى مصر، تاركاً بلاد الشام ومنهياً أحلامه الكبيرة.



barg
New idea..New life

قام حفيده الخديوي سعيد بإعطاء المهندس الفرنسي دوليسبيس امتياز تنفيذ مشروع قناة السويس، وهو مشروع فرعوني الأصل، أحياه نابليون عندما دخل مصر، وبسبب عجز مصر عن دفع ديونها بسبب إسراف الخديوي؛ باعت حصتها من القناة لبريطانيا، وبعد أن شكل أحمد عرابي حكومة دستورية دخل الجيش البريطاني مصر.

ولد جمال عبد الناصر عام 1918م من أسرة فلاحين، وشارك في تظاهرات عام 1930م المنندة بإلغاء الدستور، شكل مع رفاقه الثوريين الجبهة الوطنية عام 1936م، والتحق بالكلية الحربية وخدم 1939م بالسودان، تشكلت حركة الضباط الأحرار عام 1945م وذلك غضباً من محاصرة القصر بالدبابات البريطانية، ثم اشترك بحرب فلسطين عام 1948م، ليعم الاستياء من الأسلحة الفاسدة وتآمر القيادات وسوء التنسيق، عين مدرساً في كلية الأركان، حيث خطط للثورة وشكل مجلساً لها مع كمال الدين حسين وعبد الحكيم عامر، وطبع منشير ثورية تدعو إلى تدريب الجيش، وتعترض على التبذير الملكي والأسلحة الفاسدة .

اشتد الصراع مع الملك بعد أن ألغى انتخابات نادي ضباط الجيش، وأعلنت الثورة وتحرك الجيش في يوليو 1952م، واحتل مبنى القيادة وغادر الملك البلاد، وأصبح اللواء محمد نجيب رئيساً للوزراء بعد قبوله في مجلس قيادة الثورة، لكنه استقال وعين رئيساً للجمهورية، فحل مجلس قيادة الثورة الذي أعاده رئيس الوزراء عبد الناصر، موقفاً محمد نجيب، وانتخب جمال عبد الناصر باستفتاء شعبي وفقاً لدستور قام المجلس بكتابته عام 1956م. أصبح في عام 1958م رئيساً للجمهورية العربية المتحدة حتى الانفصال عام 1961م، وبقي رئيساً حتى وفاته 1975م.

أهم إنجازاته السد العالي وتأميم قناة السويس والمصانع، وتوزيع الأراضي على الفلاحين. كانت الوحدة بين مصر وسوريا هي التجربة الوحيدة لفكرة القومية العربية، ولكن فشلها كان مدوياً ومن أهم أسباب فشلها:

١. قيامها بدون تخطيط، وعلى أسس عاطفية مستغلة المشاعر القومية الجارفة وكاريزما عبد الناصر.
٢. التفاوت الاقتصادي بين سوريا ومصر التي كانت على شفا الإفلاس، وتخلصت من ديونها المستحقة لسوريا ثم سخر الاقتصاد السوري لخدمة الاقتصاد المصري.
٣. تصفية الضباط السوريين ذوي الكفاءة خوفاً من قيامهم بانقلاب.
٤. توطين المصريين في سوريا بحجة توظيفهم في الجيش والدوائر الرسمية، وكجيش من الفنيين والإداريين تتحمل الخزينة السورية رواتبهم. " خطط لتوطين واستيعاب ٤ مليون مصري.
٥. محاربة التجار السوريين، وسياسة التأميم التي أضرت بالاقتصاد السوري.
٦. نقل الحكومة برمتها إلى القاهرة ومعظم وزرائها مصريون.
٧. الدولة البوليسية التي لم يعتد عليها السوريون.
٨. إلغاء الأحزاب كشرط مسبق من عبد الناصر لقبول الوحدة، مما خلق فراغاً سياسياً مفاجئاً بعد النشاط المفرط، والانتخابات الحرة التي اعتاد عليها السوريون.
٩. التدخل في شؤون العراق ولبنان والأردن مما ألب الحكومات المحيطة على عبد الناصر.



barg
New idea..New life

بعد الانفصال الذي تم على يد الضباط الدمشقيين، ونتيجة فشل الحكومة المنتخبة وضعفها، سيطر حزب البعث العربي الاشتراكي على الحياة السياسية في سوريا، وكان أن هيمنت اللجنة العسكرية الأمنية التي شكلها عبد الناصر مستغلة الحزب كحامل ثقافي، وطاردة منظره أكرم الحوراني وميشيل عفلق، لتغلق الحياة السياسية من جديد، ويحتكر الجيش السلطة في معظم البلاد العربية، "مصر وسوريا وليبيا واليمن والجزائر والسودان والعراق" بحجة عجز الحكومات العربية عن الوقوف بوجه المشروع الصهيوني واستعادة فلسطين، فهل نجح الحكم العسكري بأحزابه التقدمية الثورية ؟

أفرزت الحركة الحديثة ممثلة بالنهج السياسي العسكري، أنظمة استبدادية قمعية تستند إلى الولاء العسكري، وتحتكر جميع السلطات بيدها بحجة حماية الوطن والأمن القومي، وتقوم بإدارة انتخابات مزورة وسخيفة، وتتحكم بالسلطة القضائية والإعلامية، وتبتز وترهب السلطة التشريعية. مع أن الأساس في هذه الحركة قبض الروح الأوروبية مقابل رمي الروح الإسلامية، لكن الأوروبي يدخل بلادنا مستعمراً لا ممدناً، والطالب المسلم لا يرحل في طلب العلم، بل ليحصل على شهادة غربية كما يتحدث مالك بن نبي وإقبال آسفين عن السرعة الهائلة التي يتحرك بها العالم الإسلامي في جانبه الروحي نحو الغرب، في كتاب وجهة العالم الإسلامي.

بقي الفكر العلماني العربي سطحياً يهتم بالقشور، ويشترى المنتجات الغربية ولا يفكر كيف تم إبداعها، بل كيف يستهلكها، وقام بتطوير الكم على حساب الكيف، والإعجاب بكل مستحدث دون إدخال المنتجات في عملية تحليلية لدراسة النفع والضرر. وكانت المرأة صورة معبرة لهذه الحركة بسفورها ولهاثها خلف الموضة، وتقليدها للصورة الهوليوودية دون أن تأخذ بعين الاعتبار كفاح المرأة الأوروبية، وعملها الشاق في الحقول والمعامل الألمانية.



barg
New idea..New life

هكذا لم يقرأ العلماني تاريخ الغرب والحروب الكثيرة التي أنهكت أوروبا، والثورات العنيفة التي أودت بأجيال كاملة، والفناء الذي لحق بالأوروبيين، وكيف انتقلت حديثاً من ثقافة حضارة إلى ثقافة إمبراطورية، واختار أن ينحاز إلى شكلها الخارجي البورجوازي الرأسمالي، أو البروليتاري الاشتراكي، مقدساً المنتجات ومتشداً بالخطب، يخون الكلمات ويتحرر من أية قوة أخلاقية.

اتجه الطلاب العرب الموفدون من أوطانهم للدراسة مهملين العلوم الإنسانية، ومتهافتين على العلوم المادية الأقل أهمية لنهضة بلدانهم، ليعودوا بأعلى الشهادات وبأقل نفع على الأمة العربية، وكان لبرامج التسليح أسوأ النتائج على الأمة، فقد كان ومازال يقتل بعضهم بعضاً، بل إن بعض الجيوش التي استنزفت الموارد والأموال دمرت أوطانها وقتلت أبنائها، فالعلوم المادية تصبح خطراً على المجتمع الذي لا يزال فيه الناس يجهلون حقيقتهم، وكانت ثرواتنا وأهمها النفط والقمح وبالأعلى علينا، ولم نستطع استثمارها في التنمية، فقد ذهبت معظم أموال النفط إلى البنوك الأوروبية ودعمتها، وإلى بناء الأبراج الفارهة والمطارات الضخمة والجزر الاصطناعية (وكلها بأيدي و خبرات أجنبية).

كان الأداء السياسي للحركة الحديثة مليئاً بالأخطاء أهمها:

أولاً: الفرد في المجتمع هو غاية ووسيلة السياسة، لكن الأنظمة العلمانية العسكرية اتجهت نحو المستعمر في حرب كلامية خطابية، ولم تلتفت إلى أبناء الأمة وأهملتهم ثم استعمرتهم بحجة التعبئة العامة وإدارة المعركة القومية، وكان الاهتمام الحكومي بمصالح المواطن وإرادته الحرة وتفكيره معدوماً.

ثانياً: كان هناك نوع من الغباء السياسي حيث يتم استيراد السلاح من الغرب للقضاء على الاستعمار، وعلى إسرائيل ربيبة الغرب وكأنه يطلب المفتاح من السجن.

ثالثاً: كان التنافر في النظم السياسية العربية مثيراً للسخرية، وكأنها تباع وتشتري حسب الطلب، وحسب التوجه شرقياً كان أم غربياً مع دعاية خطابية عن عدم الانحياز.



barg
New idea..New life

رابعاً: الانتقال إلى الحضارة تاريخياً لا يستلزم إلا استخدام الوسائل المتاحة وتفعيلها بالعبرية، وهذا يعني إتباع سياسة تتفق مع وسائلنا، وأن نوجد بأيدينا وسائل سياستنا. فالسياسة عليها أن تتفق مع الوسائل البسيطة الموجودة وتفعيلها، وبذلك نكون عملياً قد تحررنا من القابلية للاستعمار (انظر كيف استخدم الطفل الفلسطيني الحجارة في انتفاضته، وانظر إلى الحكومات العربية كيف تهدر القمح والنفط وهما أهم المواد الأولية في العالم) عندما نستخدم وسائلنا نتدرج بالتغيير ونحيلها أكثر كمالاً، ونعدل البيئة ونسيطر عليها، وبذلك نقضي على الاستعمار وهذا لا يشترط نوعاً محدداً من الحكم، فالأهم هو التطبيق المنهجي لعلوم الاجتماع وليس الخزعات السياسية.

خامساً: في فلسطين لم تكن السياسة العربية واضحة ومتفق عليها وذات غايات واضحة، بل كانت عبارة عن استغلال للقضية في تكالب للمصالح وصراع على السلطة، مما أدى إلى فوضى سياسية ومخاتلات وتسول واضح في الأمم المتحدة. قام الحكام العرب بخلط الممكن بالمستحيل، وترك الأهداف السهلة والكلام عوضاً عن العمل، واللعن عوضاً عن المحاسبة، والاحتجاج المستمر عند الأمم المتحدة، والإيمان بأسطورة الضمير العالمي وتحمليه المسؤولية، واتخاذ سياسة عاطفية مهيّجة للجماهير بدلاً من الاعتراف بالحقيقة، وتلمس الظروف الدولية.

كان الوضع العربي بشكل عام عندما واجه واقعاً تاريخياً متطوراً لغير صالحه، فهرب منه إما بالتلاعب بالكلمات وبالسياسة الخطابية، أو بالتفكير المثالي بدلاً من دراسة الواقع كما هو واستخلاص الأفضل، والخلوص إلى خطة تعدل باستمرار للوصول إلى غايات أكبر حسب الوسائل المتاحة، وهو ما يتطلب الاهتمام بالدراسات العربية، وبالمختصين العرب ودعمهم والعمل بتوصياتهم.

الاستعمار والقابلية للاستعمار

تطورت أوروبا عبر حوالي ألف عام، وقامت الثورة في أرجائها لتزيل التوازن القائم بين الكنيسة والإقطاع والملكية، بداية بالإصلاح الديني فالاقتصادي فالسياسي. وكانت شعارات الثورة الفرنسية هي حقوق الإنسان وحرية و العدالة الاجتماعية، وانتهى الأمر سياسياً بنظامين ماديين متوازيين:

الأول: هو انتصار الطبقة الوسطى، وقد عبرت عنه النظرية الرأسمالية لآدم سميث التي تؤمن باقتصاد السوق الحر، وتقوم على مذهب عملي هو العرض والطلب، وتخفف الضرائب لتشجع رؤوس الأموال، مما أدى إلى التلاعب بالبورصة وتركز الأموال في أيدي فئة قليلة وسيطرة الآلة على المجتمع.

الثاني: انتصار البروليتاريا والعمال، وهو ما عبر عنه كارل ماركس في نظريته الشيوعية التي قامت على اقتصاد ترعاه الدولة، بحيث تفرض الأسعار والأجور المناسبة بناء على مذهب جدي لتوزيع الثروة حسب الحاجة، مما أدى إلى تعميم الفقر وضعف الاستثمار وسيطرة الآلة على المجتمع أيضاً.

كان التقدم العلمي الهائل مع النزعة الاستعمارية لاستغلال كافة موارد الأرض ونهبها، والنزعة التبشيرية لفرض المسيحية، قد ساهم بقوة في خلق قدر أوروبا البعيد كلياً عن الضمير المتمزق، "لقد افتتنت أوروبا والذات الأوروبية بما حررتته من قوى فاستسلمت لسحر عبقريتها" (وجهة العالم الإسلامي ص

هكذا أصبح الرقم إلهاً، ونمت النزعة الكمية بشكل هستيري تغذيها التكنولوجيا، لتصبح العقلية الأوربية استهلاكية لأقصى حد تعيش على الخراب و تؤمن بالأخذ، و تقيس كل شيء بالمال، وماتت حرية الاختيار ليصبح الناشئ يبحث عن حظه في الحياة، لا عن رسالته في الحياة، وماتت الفضيلة و العدالة أمام المصالح القومية، وتنامى نفوذ الشركات الكبرى (تسوية جائزة أفضل من قضية عادلة) ليسيطر كلياً منطلق الآلة القائم على مصانع ضخمة تلتهم المواد الأولية الرخيصة القادمة من دماء وعرق العالم المتخلف، و تستخدم أرخص الأيدي العاملة مستفيدة من الانفتاح الاقتصادي الهائل، لتنتج كماليات غالية لقلّة من المستهلكين الذين يستطيعون الدفع، لتستشري حمى الاستهلاك وتدفع الفقراء للاستدانة والتدلل، للحصول على السعادة الوهمية التي تصورها لهم آلة الدعاية الغربية الضخمة.

كل ذلك أدى إلى استنزاف عالمي للأرض، وتنافس مجنون بين الشركات، فنشبت الحرب العالمية الأولى لتقسيم تركة الرجل المريض، وإيجاد مصادر جديدة للمواد الأولية وأسواق جديدة، مما أدى إلى وفرة كبيرة بالإنتاج، وهذه هي عبقرية القرن العشرين التي أدت إلى أزمة مالية كبيرة، وأتلفت السلع لإعادة التوازن إلى الأسعار، وإتباعاً لنظرية مالتوس التي تتحدث عن التوازن بين الثروة والتعداد السكاني، بدأت نظريات تحديد النسل ثم القتل بالتجويع والحروب التي لا تنتهي، بأسلحة يبيعها الغرب بأعلى الأسعار.

وهكذا اخترع الغرب أسطوره العظمى الجنس الآري، وتطورت النازية والصهيونية وقامت الحرب العالمية الثانية التي قتل فيها الملايين، وتحولت فيها الدولة إلى سلطة قاهرة، والإدارة إلى عصابة والإعلام إلى طبول تزمّر ليلاً ونهاراً، وتصيغ العقول الناشئة على أساطير عنصرية مخيفة مليئة بالكراهية والاستغلال والدمار.*

*>لاحظ ألعاب الحاسوب الحديثة التي تقوم على هذه المبادئ وتعود الناشئين على القتل والاستهانة بالبشر وترى فيها وفي الواقع الجندي الغربي يقتل الآلاف من طائرته التي قد تحلق دون طيار وهكذا تكرر التكنولوجيا لخدمة المهجية <

كتب سيزار "نهاية الاستعمار سم مصفى يتسرب في شرايين أوربا، وإذا بالناس يفيقون ذات يوم على رجع الصدى" (وجهة العالم الإسلامي ص 126).

واليوم بات خطر استبدال الحضارة الغربية أكثر هولاً، مع استنزاف الطبيعة والتدمير الهائل للبيئة والتلوث العالمي، الذي صار يندز بكوارث طبيعية، والحرب التي تشنها الدول الغربية على الإرهاب، والتي لا تنتهي أبداً طالما معامل الأسلحة تسليح من يدفع لها. أما القابلية للاستعمار المتأصلة في الشرق فتتجلى بعدة مظاهر:

١. العجز عن الإبداع وغياب البحوث العلمية وانحسار العقول الفعالة.
٢. العجز عن تصفية الأفكار الميئة والمميئة كالقدرية والاتكالية وعبادة الحكام، وربط الرزق بهم وتقديس الأئمة والشيوخ، واحتقار كل جديد ورفض مراجعة الموروث الديني بدعوى حفظ الدين.
٣. انعدام الرابط بين الفكر والعمل، فلا نرى إلا فكر مثالي بعيد عن الواقع، وذلك بسبب عدم وجود آليات لوضع منهج وتنفيذه والتعديل حسب الواقع، أو عمل منقطع عن أي مبدأ أو مغزى، انظر إلى الأموال المهدورة في سباقات لا معنى لها، أو برامج منوعات ترفيئية، والتي كان يمكن أن تفعل فكرة ملهمة وتسهم في التنمية.
٤. الخلط بين القشور والجوهر في مدارسنا وجامعاتنا، فنتهم للشهادة والرتبة العلمية والترجمة، ونهمل الأبحاث المتعلقة بواقعنا والمهمة لإحداث التغيير.
٥. فقدان الصفاء النفسي بسبب إيماننا التقليدي الموروث عن الآباء، الفاقد للطاقة الروحية، الغير مؤسس على التفكير، والبحث والذي لا ينتج بالضرورة التكافل الاجتماعي.



barg
New idea..New life

٦. الإنجرار وراء أساطير وصور ذهنية تتحكم بنا، وتجعلنا أبعد عن التوحيد عبر أفكار مغلوطة (مثل الأبراج والأعمال السحرية والتمائم). هناك ثلاث أساطير حدث عنها مالك بن نبي في وجهة العالم الإسلامي.

أولاً: الإسلام كامل وهذا يعني أننا كاملون أي مقدسون وغير قابلين للنقد، ولا نتحرك ونراجع بينما العالم يتغير من حولنا.

ثانياً: ذهان السهولة والصعوبة فإما هذا الشيء سهل ولا يحتاج جهداً، أو أنه صعب جداً فلا نتحرك ونعجز، وهذا يقود إلى فكرة مغلوطة أخرى، فنحن نرى الأشخاص والأفكار إما مقدسين لا يحتملون النقد أو حقيرين لا يستحقون التفكير. هكذا نرى الفقه الإسلامي الموروث بعيداً عن النقد والتحليل أو العكس، ونرى الفكر الغربي دنساً لا يجوز الأخذ به أو العكس، مما يمنعنا من الاستفادة وتحليل الأخطاء.

ثالثاً: الأسطورة الثلاثية فنحن متخلفون لأننا جهلة وفقراء ومستعمرون.

مهما بنينا المدارس والجامعات نلاحظ أن الأمية تزداد وبخاصة الأمية المركبة، بحيث يتعلم الإنسان كيف يقرأ ويكتب ويبقى جاهلاً بسبب أسلوب التفكير البعيد عن التحليل والواقعية. أما عن الفقر فهناك ثروات هائلة ورؤوس أموال كبيرة مكدسة في البنوك الغربية، تستثمر هناك وتضيع في تجارة السلاح والرقيق الأبيض، وإن حسنت النوايا ضاعت بسوء التخطيط وانعدام البرمجة. سعر فاعلية رأس المال المسلم يساوي قيمة المشروعات النافعة على قيمة التوافه. أما عن الاستعمار فهو الوجه الآخر للقابلية للاستعمار، قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْيِرُ مَا بَقِيَتْ حَتَّىٰ يَغْيِرُوا مَا بَأْنَفْسِهِمْ" الرعد - آية ١١.



barg
New idea..New life

٧. القصور الشديد في العمل الجماعي أو المؤسساتي، والسبب الفردية الضيقة والرغبة في التراس، ففي ثقافتنا المتخلفة نعتبر الرئيس هو الأفضل، بينما في واقع العمل المؤسساتي لكل دوره المهم والخطير، وقد يكون الرئيس أقلهم شأنًا يقتصر دوره على الإدارة والتنسيق.

تطور العمل الجماعي والمؤسساتي في كل العالم وما زلنا نشكو من الاستبداد، ونفشل عند أول تجربة ونوظف أقرباءنا عوضاً عن الكفاءات، ونختلف حول التفاصيل تاركين الأهم وراء ظهورنا.

الفصل الثالث: نظرة إلى المستقبل

نقطة الانطلاق

يقول مالك بن نبي "عندما يكون التاريخ في مفترق الطرق يصبح اختيار الإنسان كأنه هو المقدر لكل شيء، وعندما يتم الاختيار يصبح الأمر مقدرًا كأن الإنسان قد ضغط بإصبعه على زر المصير فحرك الأقدار". الخطوة الأولى للتغيير تبدأ من النفس، ولا بد أن نقوم بهذه العملية بتدرج وتسلسل وفهم:

أولاً: أن نعرف أنفسنا عن طريق دراسة الأمراض التي أصبنا بها عبر عقود طويلة من التخلف، وتحليلها ووضعها تحت النور، وإيجاد آليات تعليمية وتربوية لمعالجتها، ومعرفة نقاط قوتنا والمزايا التي حباها الله بها، قال الله تعالى: "وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً" سورة البقرة - 143 آية. ومبادئنا التي يحتاجها العالم الضائع اليوم.

ثانياً: أن نعرف الآخرين عبر دراسة الحضارات الأخرى خاصة الحضارة الغربية، كيف نشأت وكيف تبنت الديمقراطية وكيف تطوّرت فيها المؤسسات، ممّا يساعدنا في الاستفادة من الأخطاء التي وقعت بها، وعدم اكتشاف ما اكتشفته من قبل، توفيراً للجهود والعقول، وتطبيقاً للتقدّم الفني والتقني؛ للوصول إلى مجتمعاتٍ حديثة، وفهم خلفيّة العقول الغربية وطريقتهم في التفكير.

ثالثاً: أن نُعرّف الآخرين بنا، وهذا موقف متوازن فعلى المسلم أن يتعامل مع الجميع ولا يستغلّهم، ولا يسمح لهم باستغلاله، ممّا يقتضي أن يكون على سويةٍ واحدةٍ معهم، ويصل إلى ما وصلوا إليه من علم وفهم، وأن يكون إيمانه بنفسه ومبادئه عظيماً، وتطويره لإمكانياته ومعرفته بالآخر وتاريخه كبيراً. انظر كتاب مالك بن نبي (طباعة دار الفكر).

والعلاقات في العالم وبين الناس تتدرّج من الحروب الساخنة إلى الحروب الباردة، أي التهكّم المعنوي والعنف اللفظي، وهذه العلاقات هي التي قالت عنها الملائكة {أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء} سورة البقرة -آية ٣٠. وتتطور العلاقات إلى التعايش بحيث لا يؤذي أحد الآخر، ثمّ تتحسن إلى التعاون الذي يقتضي العدل بين الناس، والمشاركة في البناء والعمل، ثمّ ترتقي إلى الأفضل وهو الإيثار والإحسان، فيعطي الإنسان الآخر ممّا يستحقّ، بسبب القوّة الروحيّة والاستمتاع بالعطاء ودفعه نحو الأفضل، قال الله تعالى: {ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوةٌ كأنه وليّ حميم} سورة فصلت -آية ٤٣.

فالبشريّة قادرة على الوصول إلى عالم يسود فيه العدل والتعاون، وقد ترقى إلى الإحسان والبذل. قال الله تعالى: {إني أعلم ما لا تعلمون} سورة البقرة -آية ٣٠. والدور الذي لا بدّ للمسلم أن يطمح إليه هو دور الشهادة، قال الله تعالى: {لتكونوا شهداء على الناس ...} سورة البقرة -آية ١٤٣. ممّا يقتضي أن يكون حاضراً في الساحة الدوليّة ليشهد الحدث بعينه لا بعين غيره، كما يقتضي تطوير الصحافة العربيّة وإنشاء قنوات فضائيّة تبحر في الفضاء الإعلاميّ، دون إشراف سياسيّ أو فئويّ. كما يقتضي أن



barg
New idea..New life

يكون المسلم على مستوى عالٍ من الفهم والعلم، ليعرف أسباب الحدث ومقتضياته، ويقدر على تفسيره بشكل متوازن، فعلى أن نرفع مستوى التعليم وأساليب التعليم، وننقل روح العلم إلى الطالب قبل العلم، وندرسه بطريقة التفكير قبل الأفكار وجوهر الدين قبل تعاليمه. وهنا يكون المسلم شاهداً وحاكماً بالعدل بحكم مبادئه التي تعلمها من مساجده، وهذه مرحلة نرجو أن نصل إليها، فالحضارة الإسلامية قدرها إما أن تكون أو لا تكون، وليس لديها حلّ وسط كما اليابان مثلاً، ولذلك يتكالب العالم على إطفاء جذوة نهضتها لأنها تحمل المبادئ الإنسانية التي تكتسح العقول والقلوب وتغيّر الموازين، وتنحّي العولمة المادية وحمى الاستهلاك المنتشرتين في الأرض، والتي يشقى بها الإنسان، فالتقدم الغربي أطال عمر الإنسان عشرات السنين بالأدوية والآلات دون أن يوجد له غاية يعيش من أجلها، ودون أن يعطيه السعادة الحقيقية، قال الله تعالى: { وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم إن ربك سريع الحساب وإِنَّه لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } سورة الأنعام - آية ١٦٥.

يقول أحمد خيرى العمريّ في كتابه سيرة خليفة قادم - فصل المنجم المكي - " النصّ الديني ثروة ونحن نتحمّل مسؤولية أكبر اتجاه الأمم واتجاه مشروع الاستخلاف، ولا نملك ترف أن نكون في الوسط " .

الطرق الجديدة

لابدّ للعالم العربيّ من إعادة التفكير العميق لإحياء إيمانه التقليديّ وإعادة تفعيله كما يُفعل بالماء الخارج من التفاعلات عندما يصبح كسولاً وغير قابل للتشرد فتجرى عليه عملية التقطير ليعود متشرداً ويستعيد قدرته على التبريد والدخول في عمليات جديدة، كما عليه أن يستفيد من علوم الغرب ومؤسساته الديمقراطية ولا يقع في أخطائه، وللبدء في النهضة لا بدّ من:



barg
New idea..New life

أولاً: الكفر بالخرافة والأصنام الجديدة كالدكتاتورية والقومية والطائفية وكل الأساطير المنوثة التي تحدثنا عنها، وهو ما يحقق الشق الأول من الشهادة وهو النفي (يُقسّم البعض شهادة لا إله إلا الله إلى جزأين: الأول نفي، ويعني الكفر بكل ما يتخذه الناس من آلهة، والثاني إثبات، أي الإيمان بالله وحده) والقيام بعملية إصلاحية في المساجد والمنابر الإعلامية لشرح أصول التوحيد وتأثير الصور الذهنية الخاطئة على صحة الإيمان، وجمع الناس على مشروع نهضوي يؤمنون به جميعاً لكونه يساوي بين الجميع ويتفهم حاجات الطبقات والفئات والطوائف والأديان دون تفريق ويحتكم للأكثرية دون إهمال للأقلية بمبدأ أخلاقي عادل يقوم على السواء والتآخي والكف عن الأذى والاتفاق على مصلحة الوطن والمواطن ويكون شعاره ((نرقى معاً وجميعاً)).

ثانياً: للوصول إلى ذلك لا بد من عقد حوار اجتماعي عام يجمع الفئات والطوائف وإغراق السوق الفكرية بمؤلفات تبحث أمور الشورى ومؤسساتها وإدارة نقاش عام في وسائل الإعلام تتاح فيه حرية التعبير دون إكراه أو إهانة أو سخرية.

ثالثاً: رفع مستوى الطاقة الإسلامية الاجتماعية عن طريق تنظيم مؤسسات مدنية واقتصادية ودينية تذخر بالأعمال التطوعية ويكون فيها ميزان الواجب أثقل من الحقوق، والأمة التي يكون ميزانها ميلاً إلى المطالبة بالحقوق تتراجع، وكلما زاد الفائض الاجتماعي والمادي والعلمي نهض المجتمع وقاوم حتى في الميزانية العامة والتي تكون رابحة عندما يكون الإنتاج أكبر من الاستهلاك. يكون ذلك عبر تقوية الشعور الديني والوطني واستغلال مواطن الخير وحالة الفراغ التي يعيش فيها بعض الشباب وتوظيف مواهبهم وطاقاتهم واستغلال خبرة المتقاعدين وهم ما زالوا قادرين على العطاء خاصةً أن أكثرهم في هذا العمر لديه الأمان الاقتصادي.



barg
New idea..New life

رابعاً: تجميع الطاقة في مساقط فعّالة للاستفادة القصوى والابتعاد عن الهدر والإسراف، وأكبر مدخل له هو شراء السلاح ففيه تموت ميزانية الأمة وتعتمد الجيوش إلى قتل شعوبها وهذا ما علمنا إيّاه التاريخ، واذّار كل فائض للتعليم والتنمية وبناء مشاريع البنية التحتية، خاصةً المدارس والمعاهد الفنيّة والجامعات، والصرف على البحث العلميّ فكلّ ذلك ينير العقول وهي الاستثمار الأقوى للأمة.

خامساً: التحوّل في الدعاية الانتخابية في حالة وجود مناخ سياسيّ حرّ من البوليتيكا والخذاع إلى الواقعيّة والمنهجية، ونقل السّاسة من الحديث المكرر عن الحقوق والوعود الكاذبة إلى الحديث عن العمل الجادّ والالتزامات المشتركة والتوجّه نحو الطبقات الأقلّ حظّاً لتوعيتها وتجنيدتها في مشاريع تعليميّة وتنمويّة.

سادساً: بناء نظريّة جديدة للثقافة والفكر تقوم على أسس واضحة وتستفيد من البحوث العلميّة والطروحات الجامعيّة وتخطّط بشكلٍ واعٍ لتنظيم الفكر والاستفادة منه موضوعياً، وإقامة مشاريع خاصّة لتمويل الأبحاث وعدم ربطها بالجانب التجاريّ كما في الغرب ممّا يمنعها من الترقّي بأهدافها (يمكن استخدام التبرّعات الدينيّة، أو إشراك عدّة شركات بمجلس إداريّ لتمويل الأبحاث).

سابعاً: التوجّه نحو ربط ثمرة العبقرية بعمل اليد، وربط المثقّف بالطبقات الدنيا وذلك عبر شلّالات متدرّجة من الطبقات والقيم، وهنا تكمن أهميّة وخطورة الطبقات الوسطى والحفاظ عليها كمّاً ونوعاً وعدم التضيق عليها بالقوانين الجائرة، وفتح المجال للمشاريع البسيطة القادرة على الاستفادة من الأفكار الجديدة وتوظيف الطبقات الدنيا برأس مال بسيط، فللطبقة الوسطى أهميّة فكريّة أولاً كونها متعلّمة وواعية وقادرة على فهم البحوث الجديدة ومتابعة التطوّر الثقافيّ، وأهميّة اقتصادية كونها ترفد المجتمع بمشاريع أساسية وغير كمالية. يقول مالك بن نبيّ "العبقرية التي لا تستطيع استخراج عناصرها من ثنايا الطبقات الدنيا لا يمكنها أن تزدهر في القمة (مرجع ٢) . وهذا يعني أن كلّ نشاط



barg
New idea..New life

فكريّ أو اقتصادي لا يستطيع الوصول إلى قاع المجتمع عبر آليات ومؤسسات لا يتحوّل إلى بناء حقيقيّ ولا يستفيد من الواقع ليعدّل مساره ويعود بالنفع على الناس.

ثامناً: التوجّه في الدراسة والبحث والابتعاث الخارجيّ نحو العلوم الإنسانيّة كالتاريخ وعلم الاجتماع لأنها الأكثر توجّهاً نحو الإنسان والضمير وهو ما يحتاجه العالم اليوم، ولأنها الأقدر على حلّ المشاكل ورفع مستوى الأمة والنهوض بها، وتقصيّ القيم الوافدة والقيم الموجودة، وكشف طرق جديدة.

تاسعاً: إجراء نوع من مراجعة الموروثات الدينيّة الفقهيّة لتنقيتها من الخطأ والسهو والدجل وإرساء دعائم تفاهم دينيّ طائفيّ قائم على أساس من الدرس والنظر بتوازن إلى المشاكل التاريخيّة والعقد المذهبيّة، وحلها بتصالح تاريخيّ دينيّ واجب التخطيط له، وتوفير البيئة المناسبة ليزدهر ويثمر.

عاشراً: دعم المؤسسات الدينيّة كالمساجد والكنائس لتجديد الطاقة الروحيّة ودعم الالتزام الأخلاقيّ، فالأمم تقوى بالأخلاق مما يساعد الشباب على تركيز جهوده في العلم والعمل والابتعاد عن الفساد واللهو.

أحد عشر: العمل الفنيّ المنظّم، وتطبيق المنهج العلميّ لتسريع التقدم التكنولوجيّ وحرّق مراحل التصنيع كما فعلت اليابان التي قامت خلال عشرة أعوام عبر التركيز على العمل وتفعيل الجهود الفنيّة والتقنيّة.

أخيراً فإنّ المأساة العالميّة اليوم هي في تخلف الضمير، لنلاحظ أنّ العلم ألغى المسافات الجغرافيّة، لكنّ هوىّ سحيقة بقيت في الضمائر، ولتجنّب المأساة لابدّ من المعادلة بين الكمّ والكيف، والروح والمادّة، والغايات والوسائل، والاتجاه نحو الإنسانيّة، والنظر إلى الأمور لا من حيث نفعها وضررها على مجتمع بعينه بل من خلال الأهداف الكبرى التي تسعى إليها الإنسانيّة كما يقول إقبال. هذا كلّه سيؤدّي إلى قفزة ثقافيّة تجعلنا نتوقّف عن رؤية الظواهر في ماضيها ونتجه لنراها في توقعاتها " دورة من دورات الحضارة تولد في ظروف نفسيّة وزمنيّة وتنمو وتطرّد، فإذا ما

سبقها الحضارة الإنسانية توقفت لتبدأ أخرى في ظروف جديدة. هذا هو الطريق الصاعد الذي مُنحتة البشرية ببطءٍ ورويةٍ، وبذلك تمتزج غاية الإنسان بغاية التاريخ " (مرجع ٢).

توصيات عامة للمؤسسات التعليمية والدعوية

١. من المهم الاهتمام بالشفافية والابتعاد عن السرية والتبرعات المشبوهة فمن أكبر التهم التي توجه لهذه المؤسسات التمويل الخارجي والسرية في البرنامج والتنظيم.
٢. مواجهة التخلف في جذوره النفسية والعقلية والدينية عبر ترجمة الوظيفة الاجتماعية للدين والتعامل مع الفقه الإسلامي بمنظار نقدي تحليلي لأنه دأب منذ صغين على محاولة التوفيق بين الواقع المتخلف ومبادئ الإسلام النقية وإصلاح الموروث الفقهي لابد من اشتراك الأئمة من كل الطوائف وعقد مؤتمر إسلامي عام يهدف إلى تنقية النصوص الدينية مما تغشاها عبر الزمن من إضافات وتفسيرات وتعطيلات وتهميشات تبعتها عن مقصدها الأصلي.



barg
New idea..New life

٣. إعادة بناء الإنسان منذ الصغر بحيث يتم الاعتراف في البيت والمدرسة والمسجد والمؤسسة بسيادة الفكر وسلطة القانون المتفق عليه وإجراء انتخابات دورية عندما تكون المؤسسة كبيرة للتصويت على القوانين وإجراء اجتماع عام سنوي لكتابة رسالة المؤسسة واعتمادها بحيث يشعر كل فرد بأهمية التعبير عن رأيه والمشاركة في صياغة القواعد وبذلك يلتزم بها من تلقاء نفسه من دون وجود سلطة قاهرة ولتعود سلطة القانون فوق الجميع وهذا هو لب التوحيد فالجميع سواء والمحاسبة تقوم عبر قانون شرعي أي ناتج عن التصويت بعد نشر المعلومات وإتاحتها للجميع.

٤. على التعليم الديني والمدرسي اعتماد الأخلاق كغاية أساسية وتعليم طريقة التفكير قبل الأفكار وروح النص ومقصده قبل الأحكام والغاية من الحياة قبل وسائلها والتسامح قبل المذاهب والطرق وحب العلم قبل التعليم فاتجاه العلم يجب أن يكون نحو المعاني والمقاصد ودراسة المفاهيم القرآنية الأساسية وإهمال الاختلافات الفقهية والتركيز على الفهم بدل التريديد الأصم للآيات ومقياس الأفضلية هو التسابق بإنجاز قال الله تعالى { وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون } (التوبة - ١٠٥-) وهذا يبدأ من الروضة عندما يكون المعلم بفتح آفاق التفكير والمحاكمة العقلية عبر اللعب التعليمي واستخدام الحكايات لتشجيعه على القراءة وغرس القيم الصحيحة بأساليب حديثة.

٥. فهم موضوع الجهاد وخصوصية القتال واقتصره على بعض المواضع فغاية القتال الإسلامي هي الدفاع عن المجتمع الوليد أو نصره المظلومين وهذا لا يتم إلا بمجتمع قائم على العدل والإنصاف فيه حكومة شرعية منتخبة من مهماتها إعلان التعبئة العامة.

كما لابد من الاهتمام بحرمة الدماء واستباحتها خاصة دماء المدنيين تحت أي ظرف كان وتفعيل النصوص القرآنية الواردة في ذلك.

٦. فهم الحدود وشروط تطبيقها واقتصرها على المجتمع الإسلامي صاحب الشرعية الواضحة والأكثرية الساحقة

التي تدعم تطبيق الشرع الإسلامي وتلتزم به.

٧. فهم وإدراك الشرعية السياسية وآلياتها التي تتفق مع المبادئ الديمقراطية والدينية لبناء مؤسسات الدولة وتطبيق انتخاباتٍ عادلة لا تأثير للمال السياسي أو النفوذ القبلي أو الإكراه الطائفي عليها وتربية الجيل القادم على قدسية الإدلاء بصوته الحر والنزيه وأهمية حرية اختياره وتعبيره عن رأيه وأهمية القبول بالأخر عبر النصوص القرآنية والشرعية.

٨. التوعية بأهمية الفصل بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية مع السماح بفضاء إعلامي حر غير محكوم بمال أو نفوذ لأن الأهم هو نشر المعلومات بين الناس وتوعيتهم وأهم هذه السلطات القضاء الواجب تحريره من أية سلطة وفصل موارده عن الدولة حتى لا تتحكم به.

من المهم إبعاد الجيش عن الدولة وقصر دوره على الدفاع عن الوطن ومنع الهيمنة العسكرية على المجتمعات المدنية.

٩. تفعيل الأجنة القرآنية التي تم إهمالها عبر أجيال من الجهل والخوف والتخلف وبعضها يتصل بأهمية التعلم وحرية الاختيار والتحاكم بالعدل ودراسة التاريخ والأمم وغيرها كثير.

١٠. لابد من فصل عملية التعليم عن الأشخاص ونفي القدسية عنهم فالمعلم بشر يخطأ ويصيب ومن الطبيعي مناقشته بل ومخالفته والمعلم الأفضل هو من يبني أجيالاً أفضل منه.

١١. لمعالجة الأمية المنتشرة في العالم الإسلامي التي زادت بسبب الحروب والدمار لابد من التدرج وإيجاد نظرية جديدة في التعليم تناسب الظروف الجديد والبعد عن التلقين واستخدام المساجد عند عدم توفر قاعات التعليم وتأمين وتعليم العمل لحفظ الكرامة وكسب الرزق للشباب قال الله تعالى {هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويركيزهم ويعلمهم الكتاب والحكمة} (الجمعة - ٢ -)

فأولاً: تعليم التلاوة وهو القراءة المحسنة والكتابة.

ثانياً: التركيزية وهي تنظيف العقل والقلب من الأفكار الهدامة ومن الكراهية والحقد وتعليم العطاء المادي والمعنوي.

ثالثاً: تعليم الكتاب أي النصوص والكتب بشكل عام ثم تعليم الحكمة أي استثمار كل ذلك في الواقع المعاش بحيث نصل إلى أحسن النتائج والخروج بحلول عملية للواقع وابتكار الأحسن والأنسب والجديد. ويجب ترسيخ كل ذلك في خطبة الجمعة الواجب تحولها إلى منبر اجتماعي وتعليمي قريب من الواقع وهموم الناس.

ولابد من التحذير هنا من الأمية المركبة والتي ترد في قوله تعالى: {مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفراً} (الجمعة -5-) فما أهمية العلم والدين والترتيل إن لم يكن كل ذلك في سبيل خدمة مصالح الناس وأمورهم وخير البشرية.

١٢. إيجاد نواة لتجمع علماء المسلمين يضم كل الطوائف والمذاهب مهمته الإصلاح بين الناس ومحاربة الكراهية والتعصب الديني والقضاء على ظاهرة الجرائم الطائفية والفتاوى التي تستبجح الدماء ويبعث بالرسائل الدينية المناسبة للشباب والفتيان ويتخذ مواقف جريئة تجاه الظلم والعدوان ويقوم بتجهيز هيئة قانونية شرعية مشتركة فيها تخصصات قانونية ومدنية لحل النزاعات المسلحة والإصلاح بين الدول ودعم العدالة الانتقالية قال الله تعالى { وإن طائفتان من المؤمنين أفصلحا فأصلحا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين } (الحجرات -٩-).

يمكن في المستقبل أن يصبح لدى هذه الهيئة هيمنة على جيش عربي مشترك لتكون لها سلطة تنفيذية.

خاتمة عن الثورات العربية

يقول الكواكبي في كتابه (مرجع ١٠): وللسعي في رفع الاستبداد ثلاث مراتب:

١. الأمة التي لا يشعر أكثرها بالآلام الاستبداد لا تستحق الحرية.
٢. الاستبداد لا يُقاوم بالشدة بل باللين والتدرج.
٣. يجب قبل مقاومة المستبد تهيئة ما يُستبدل به ولو بشكل نظري مع اتفاق الناس عليه.

والثورات العربية قامت كما يبدو بشكل عفوي غير منظم أيديولوجيا وانطلقت من الطبقات الدنيا بعيداً عن المثقفين والمنظرين بل كان بعضهم متورطاً مع أجهزة الدولة القمعية ومسانداً لها ولم ينزل أكثرهم ألي الشوارع مع الشباب واكتفوا بالتنظير عن بعد والنقد الجارح تارة والتصفيق تارة أخرى.

وهنا علينا أن نتعامل مع الواقع كما هو ونحاول اللحاق بالحدث والتنبيه إلى الأخطاء دون تجريح أو تخوين أو تكفير، مع الخروج بحلول منطقية وواقعية للتناقضات والإشكالات الحاصلة والتخطيط المشترك عبر مؤتمرات وطنية تبدأ من الحلقات الضيقة وتتسع شيئاً فشيئاً ففي كل مدينة يمكن توحيد الحراك المدني فالعسكري وانتخاب مجلس بلدي وعسكري ومن ثم الوصول إلى المجالس الأكبر فالأكبر.

شملت الثورات العربية بشكل ملحوظ الأنظمة الاستبدادية الأكثر حداثة والعسكرية وبقيت الدول العربية الملكية القديمة تراقب بتحفظ فليس عصياً على الفهم أن التغيير إن لم

يتم احتواؤه فسيكتسح المنطقة برمتها وتحول بعضها بسبب المقاومة الشرسة للنظم القديمة إلى حروب أهلية وإقليمية بعد أن تجاوزت المرحلة السلمية والعصيان المدني والمظاهرات الشعبية وهي مرحلة تتسم بالمثالية والأحلام ودخلت المرحلة الأكثر واقعية والتي تتسم بالمقاومة والمناورة والمنازعة والعنف المضاد أحياناً مع اصطفاة إقليمي ودولي يقترب من التآمر في أكثر الأحيان ولا يهتم بالأهداف الحقيقية للحراك الشعبي ويسلح حسب شروطه ومشروعه مما أوقع الشعوب بين كفي كماشة لعجزها عن فهم التحركات الدولية و ربط نفسها بأجندات خارجية بينما اختارت النظم البائدة العودة بوجوه جديدة أو القيام بحرب شاملة تحرق البلد و تتنفس بنزعة طائفية بغیضة وعزف جميعها على أوتار الحرب على الإرهاب بل وصنع بعضهم بيديه لإبعاد الغرب وإخافته من النظام الجديد.

يقول الصادق النيهوم في كتابه: الإسلام في الأسر "لابد من خلق صيغة اجتماعية تدعم الضعفاء وإيجاد هذه الصيغة بالحلال -أي أن نقاتل ونضحي من أجلها -ونتوقف عن دفع حريتنا ثمناً للبقاء والعيش في ظل النظام العالمي لآبد من زلزال عسكري ثقافي بالطريقة الإسلامية " (مرجع ١).

ويتنبأ بأن الأنظمة العسكرية ستدمر كل شيء في سبيل بقائها ولآبد من انتصار الشعوب إذا بقيت على إصرارها ورفضت الخضوع لكن الثمن سيكون باهظاً كما نرى ويزيد منه غياب

الطبقات الوسطى المثقفة والمتعلمة والقادرة على تحريك المال ومد الحراك الثوري بالأفكار والكفاءات حيث يلاحظ غياب هذه الطبقة في اليمن وليبيا أو تدميرها منهجياً في سوريا ومصر عبر قوانين التأميم ثم الاستثمار ووضعها في المعتقلات أو دفعها للهجرة.

ويأتي السؤال الأصعب عن شكل المجتمع العربي القادم ودعائمه ومؤسساته.

اشتركت كل البنى القديمة في هذه الحرب المستعرة من نظم قبلية وعشائرية وأُسرية و طوائف دينية ومذهبية وأعراق مختلفة وأديان وطبقات و كأن المجتمع العربي القديم يتعرض لزلزال شديد يقلبه رأساً على عقب ويمزق ولاءاته ونظمه البالية والسبب أن الدولة العربية الحديثة لم تقم نتيجة تطور تاريخي موضوعي بل نتيجة مباشرة لاتفاقية سايكس بيكو التي رسمت الحدود وبنيت الجيوش ونظمت الدول، لذا تنحو الدولة بكل مؤسساتها نحو الانهيار، وتكمن الخطورة في عودة المجتمعات العربية إلى الصيغ البدائية كما قبل الإسلام وبقائها رهينة لها لزمّن طويل حبيسةً للطائفية والقبلية نتيجة عدم وجود فكر سياسي حديث قائم على الواقع العربي والبيئة الاقتصادية والدينية والمدنية الموجودة فعلياً والتي تشظى بعضها بسبب الثورات وقمع النظم الاستبدادية.

لذا تبرز إلى السطح كل التناقضات النفسية والاجتماعية والدينية، والحل يكمن في بناء منظومة فكرية سياسية اقتصادية لتنظيم ومأسسة المجتمعات العربية.

يبدو حتى الآن أن المسجد كان المؤسسة الأكثر تماسكاً وبقاءً، وأن المؤسسات

المدنية كانت مشلولةً في بعض الأحيان ومتأمرةً في أحيانٍ أخرى، فمن الجامع انطلقت التظاهرات وتطور الحراك السلمي وكان الشباب الأكثر ثوريةً وتضحيةً، وهذا ما يذكره الصادق النيهوم " الحلّ هو في تسييس الاجتماع الأسبوعيّ في يوم الجمعة، سوف يغضب معاوية ثم يستخدم أسلحته القديمة والجديدة لمنع الجمعة، وسيغرق في مستنقع الرعونة ويخلع قناع الدين ويتعرّى أمام الأمة وينكشف تواطؤ فقهاءه " (مرجع ١١).

ومنه علينا الانطلاق من المؤسسة الدينية القادرة على العطاء حتى في أوقات الموت والدمار، والبناء لتطوير البنى المدنية ومن ثمّ الاقتصادية الجديدة، ولا بدّ من توسيع ودعم الطبقة الوسطى الأكثر ثباتاً والأكثر قدرةً على دعم المجتمعات الوليدة من رؤوس الأموال الكبيرة التي تهدر الثروات الطبيعيّة وتنتج الكماليّات وتهتمّ بالإعفاءات الضريبية وتستهلك البنى التحتيّة بشراهة، بينما تعمل المشاريع المتوسطة على إنتاج المواد الأساسية وتوظّف عدداً لا بأس به من الطبقات الدنيا وتدفع الضرائب وتدعم البنى التحتيّة وتتصل بفضل مستواها التعليميّ بطبقة المثقفين والعلماء والأدباء لتلتقط الأفكار الجديدة وتفعلها وتستثمر العقول والشهادات، وتتصل بالقاعدة الشعبية وتحركها وتخرجها من الأميّة والبطالة، وتحافظ على البيئة وتلتزم بقوانين العمل وتقتنع بالأرباح المعتدلة وتطور مشاريعها وتخدم الصالح العام.

أما بالنسبة للحياة السياسية المقبلة فالمشكلة هنا أن مشكلة الأحزاب هي فكرة

غربية مستوردة وغريبة على مجتمعاتنا، ففي الدول الغربية انقسم الفكر والمال إلى حزبين واقعيين هما العمّال والمحافظون، والواقع العربي مختلف تماماً، فهو لا يتكون من طبقة واسعة عماليّة كالتّي تشكّلت في أوروبا إبان الثورة الصناعية ولا من طبقة التجّار والمصنّعين ومدراء المصارف الضخمة والشركات الكبرى والتي تشكّلت أيضاً في نفس الفترة، فالحديث عن أحزاب بدون بُنى اجتماعية واقتصادية موجودة هو نوع من الخيال.

ففي الغرب تطوّرت الديمقراطية نتيجة لواقع متغيّر وانقلبت الدولة من أسر إقطاعية

وملكيّة إلى أجهزة عملاقة معقّدة يعتمد بقاؤها على إيجاد صيغة إدارية لتوفير شرطين:

- ١- حرّية رأس المال دستوريّاً مما يشجعه على التدفّق المستمر ودعم الاستثمار.
- ٢- كسب رضى العمّال بمشاركتهم في السلطة بما يضمن استمرار العمل. وهذا ما نتج عنه الديمقراطية الغربيّة الرأسمالية، فحرّية رأس المال تشريعته تغطي حقّ الملكية الخاصة مع ضمان الفائدة على القروض وحرّية الإعلان وحرّية القضاء وحماية الاستثمارات الخارجية حتى عن طريق شنّ الحروب. أمّا مشاركة العمّال في السلطة فهي تشريع يغطي حقّ التصويت وحقّ التجمع والإضراب وحقّ التأهيل العلمي والمهني وحق المساواة بين المرأة والرجل وحقّ الضمانات الاجتماعيّة والضرائب المتصاعدة وتأميم المرافق العامة، وهذه الصيغة كما نلاحظ تستبعد تلقائيّاً الجيش والكنيسة، فليس بإمكان

أيّ منهما ضرب التحالف القائم بين رأس المال والعمال. " (مرجع ١).

في المجتمع العربي تتكوّن الطبقة العريضة الشعبية من الفلاحين والرعاة والقرويين والعاطلين عن العمل والعمّال، وأكثرهم من فئة الشباب الذي خرج إلى الثورة خوفاً على مستقبله ولعلمه التام أن النظام القديم لن يلاحظه أو يفتح له أيّ باب أو يستثمر في طاقاته. والطبقة الأصغر هي طبقة الموظّفين في الدولة والتي تعتمد على الحكومة في رواتبها وأمور حياتها ومن ضمنها المعلّمين، وهذا ما كبح جماح الثورة وساعد الحكومة في مقاومتها. تبقى الطبقة الضيقة الأكثر ولاء للحاكم والتي يعتمد بقاؤها عليه وهي: الأمن والمخابرات والوزراء والضباط وكبار

التجّار والمستثمرين.

هناك بلا شك طبقة وسطى في سورية ومصر وهي طبقة الأطبّاء والصيادلة والمهندسين والحرفيين وأصحاب المحلات والتجّار الصغار والأئمّة، وهذه الطبقة اختار بعضها الهجرة بما يملك من مال، وتكّل ببعضها (الأطبّاء خصوصاً) واعتقل بعضها ممن كان على رأس الحراك السلمي مما حرم الثورة من مصادرها التنظيمية وأوقعها في شرك الميليشيات والتشكيلات العسكرية والإسلامية.

بقيت الأحزاب العربية والمعارضة نظرياً للنظم الاستبدادية معزولة عن قواعدها الشعبية بعكس منابر المساجد التي كانت أشدّ ارتباطاً بالناس وهمومهم وأكثر قدرة على جمعهم، وهذا ما نتج عنه فشل وتعفن النخب الثقافية والسياسية

وانفصالها عن الواقع الجديد، ممّا يحمّل الأمة وجوب إيجاد نخب جديدة تتقدّم بأبحاث رائدة معتمدة على الواقع وتنظّم النشاط السياسي والعمل الجماعيّ المؤسساتي بكوادر إدارية متعلّمة ومخلصة لا تهتمّ بالكراسي، وهنا لا بدّ من مساندة الواقع والاعتراف أن الأحزاب العربية التي يمكنها أن تقوم حسب البنى العربية المتاحة هي أحزاب دينية وليبرالية (لن نذكر الأحزاب الطائفية والعرقية بسبب ضيق منظورها وسنعتبرها من الأنظمة القديمة) وعلى كليهما القبول بالآخر والقبول بعملية ديمقراطية غير منحازة وبناتجها والقيام بدور المعارضة الفعّالة وتقديم النقد المثمر دون تشهير أو استخدام للعنف أو توظيف للجيش أو بناء للتنظيمات السريّة وتفعيل الكوادر الشعبيّة والمؤسسات المدنية يوماً بيوم عبر طرح مشاريع وطنية تنمويّة والاستثمار بالشباب وتعليمهم واستخدام

طاقاتهم البناءة وتوظيفها ل طرح مشاريع انتخابية واقعية ومتصلة بال جماهير.

لابدّ هنا من الإشارة إلى أنّ مسألة كتابة الدستور هي عملية معقّدة يجب السير فيها بتؤدّة وانتظار نضج العقل العربي والبنى الفكرية والسياسية والاقتصادية الجديدة، ويمكن هنا الاتفاق على دستور قديم مبدئياً ومن ثمّ التوافق على مجلس استشاري يتكوّن من الجميع ((كل الأحزاب والطوائف والأديان والأعراق والفرق المقاتلة))، وتشكيل حكومة كفاءات تنظّم الأمور وتبني أولاً المؤسسات التعليمية وتصلح البنى التحتية لإعادة توطين المهجرين كأولوية قصوى، ولا يجوز الاستئثار بالسلطة بأي شكل في الفترة الانتقالية، وتعيين هيئة قضائية مستقلة مؤلفة

من قضاة معروفين بالنزاهة لمحاكمة المجرمين وتطبيق العدالة الانتقالية وتنظيم عمليات الاعتراف والمسامحة مع التنويه على المحاسبة الدقيقة للمسؤولين مباشرةً عن المذابح والتعذيب والتهجير ومرتكبي الجرائم الكبيرة. كما يجري هنا ضمّ المقاتلين من كلّ الانتماءات والولاءات وتنظيمهم تحت إدارة جديدة لتشكيل الجيش. وبعدها تقوم انتخابات نزيهة تشرف عليها الإدارة السابقة وثرائب شعبياً وعالمياً لانتخاب مجلس تشريعيّ ((لابدّ للفترة الانتقالية أن تمتدّ لحوالي خمس سنوات)).

عند بدء النشاط التشريعيّ يبدأ سنّ القوانين الجديدة الخاصة بالأحزاب والاقتصاد والمؤسسات المدنية والدينية، وتقوم هذه الهيئة التشريعية بالتصويت على نواة للجنة عامّة وظيفتها كتابة الدستور ومؤلفة من العقول القانونية والأئمة الشرعيّة والعقول الاقتصادية والسياسيّة وممثّلين عن كلّ الطوائف والأعراق

والفئات ووظيفتها كتابة الدستور والتصويت عليه شعبياً والذي يجب أن تكون الموافقة عليه بأغلبية ساحقة بمشاركة أكثر من ٧٥ بالمائة من الشعب وإدخال اللجان المختصة بالتصويت إلى كلّ القرى والحواري الشعبية والبيوت.

أخيراً لا بدّ من التنويه إلى أن التجربة العربية تجربة فريدة بشكل ما وبعيدة عن التطور التاريخي الأوروبي، ولذا لا بدّ من وقوع الكثير من الأخطاء وعلينا تقبّل ذلك، فالمهم هو دراستها وإصلاحها والتخطيط المتجدّد المبنيّ على الوقائع الجديدة لبناء



الأمّة الحديثّة القائمة على القسط والتوازن الفعّال بين العلم والإيمان } وكذلك

جعلناكم أمّةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس }... (سورة البقرة – 143-).

المصادر والمراجع

- ٠١ مقدمة ابن خلدون - المجلد الأول طباعة دار الكتاب اللبناني بيروت
- ٠٢ وجهة العالم الإسلامي تأليف مالك بن نبي إصدار ندوة مالك بن نبي ترجمة عبد الصبور شاهين طباعة دار الفكر دمشق ١٩٨١.
- ٠٣ البوصلة القرآنية تأليف محمد خيرى العمري طباعة دار الفكر دمشق ٢٠٠٣.
- ٠٤ شروط النهضة تأليف مالك بن نبي إصدار ندوة مالك بن نبي ترجمة عبد الصبور شاهين طباعة دار الفكر دمشق ١٩٨١.
- ٠٥ فكرة الافريقية الآسيوية (مؤمر باندونج) أليف مالك بن نبي ترجمة عبد الصبور شاهين طباعة دار الفكر دمشق ١٩٧٩.
- ٠٦ دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين أليف مالك بن نبي توزيع دار الفكر دمشق.
- ٠٧ الإسلام بين الشرق والغرب تأليف علي عز بيجوفيتش الناشر مؤسسة الصادق للطباعة والنشر ومؤسسة العلم الحديث بيروت ١٩٩٤- الناشران مجلة النور الكويتية ومؤسسة بافاريا للنشر.
- ٠٨ تاريخ البشرية تأليف أرنولد توينبي طباعة الأهلية للنشر والتوزيع بيروت ١٩٨٦.
- ٠٩ سيرة خليفة قادم تأليف محمد خيرى العمري طباعة مركز التفكير الحر السعودية ٢٠١٣.
- ٠١٠ طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد تأليف عبد الرحمن الكواكبي طباعة دار العرب

ودار النور دمشق ٢٠١٢.

١١. الإسلام في الأسر (من سرق الجامع) تأليف الصادق النيهوم كتاب الناقد طباعة دار

الرئيس للكب والنشر لندن – قبرص ١٩٩١.

تم الرجوع إلى موقع ويكيبيديا www.wikipedia.org والاستفادة منه في جمع

المعلومات حول بعض الشخصيات المذكورة.